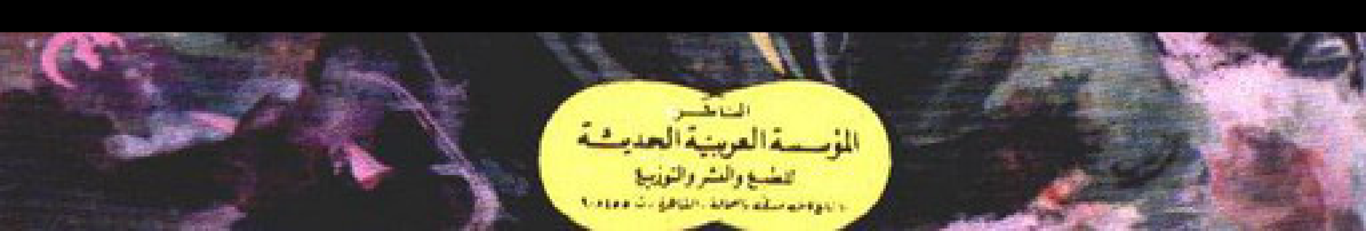
روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

المعتقل الرهيب

٧٣



لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ من أجل صديق ..

لم تكد عقارب ساعة التنبيه ، المجاورة لفراش (أدهم صبرى) ، تشير إلى تمام السادسة صباحًا ، حتى بدأت الساعة فى إصدار صفير موسيقىّ منغّم ، بدأ خافتا ، على نحو قد لا يفلح أبدًا فى إيقاظ نائم ، إلّا أنه لم يكد يتسلّل إلى أذنى (أدهم) ، حتى فتح عينيه ، ومدّ يده فى تكاسل ، يُوقف الصفير بضغطة على زرٍّ كبير أعلى الساعة ، ثم تثاءب ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

ـ يوم جديد ، أشرقت عليك شمسه ، وأنت على قيد الحياة يا (أدهم) .

كان من المفروض ، طبقًا لبرنامجه اليومىّ ، أن ينهض من فراشه ، ويتناول كوبًا كبيرًا من اللبن المثلّج ، ثم يرتدى زيّه الرياضىّ ، ويزاول رياضة الجرى لنصف ساعة كاملة ، قبل أن يعود إلى منزله ، ويستحمّ ، ويرتدى ثيابه ، ويطالع صحف الصباح ، ثم يذهب إلى عمله ..

ولكنه لم يفعل شيئًا من ذلك هذا الصباح ..

لأوَّل مرَّة فى حياته ، ومنذ سنوات طوال ، راودته رغبة قويَّة فى معاندة ذلك الروتين ، والعودة إلى النوم ..

ربَّما لأنه لم يفعل ذلك أبدًا ..

وربَّما لأنه سئم تلك الحياة الشديدة الانتظام ..

أو ربَّما أنها طبيعة (أدهم) المتمرِّدة فحسب ..

كان قد عاد منذ أيَّام قليلة من (تلّ أبيب) ، حيث أضاف إلى سجله نصرًا جديدًا ، على الصعيدين : الوطنى والشخصىّ(*) ، وعاد إلى موقعه فى عمله ، واستردَّ كل ما فقده من قبل ..

واليوم تراوده رغبة قوية فى التكاسل عن الذَّهاب إلى مكتبه ، فى إدارة المخابرات العامة ، ولقد قرَّر أن يحوِّل تلك الرَّغبة إلى واقع ، وامتدَّت يده بالفعل نحو سمَّاعة الهاتف ، ليبلغ الإدارة رغبته فى الحصول على إجازة عارضة ..

وفجأة ، وقبل أن تمسَّ أصابعه سمَّاعة الهاتف ، ارتفع رنينه على نحو مباغت ، فارتفع حاجبا أدهم فى دهشة ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى سخرية ، وهو يغمغم :

(*) راجع قصة (شريعة الغابة) .. المغامرة رقم (٧٢) .

ـ يبدو أنهم قد قرءوا أفكارك ، ورفضوا مطلبك يا (أدهم) .. يا لكفاءة جهاز مخابراتنا اليقظ !!

التقط سمَّاعة الهاتف ، ووضعها على أذنه ، وهو يقول :

ـ من المتحدِّث ؟

لم يكد يسمع صوت محدِّثه ، حتى اعتدل فى حركة حادَّة ، وملأته الدَّهشة حتى الأعماق ، وهو يقول فى احترام :

ـ نعم .. إنه أنا يا سيِّدى .

كان المتحدِّث هو مدير المخابرات العامَّة بنفسه ..

وكان هذا يثير الدهشة بالفعل ..

فعلى الرغم من طول فترة عمل (أدهم) فى المخابرات ، وكثرة ما تم استدعاؤه ، إلَّا أنه لم يحدث أبدًا ، مهما كانت الظروف ، أن اتصل به مدير المخابرات بنفسه ؛ لأن ذلك ـ وبكل بساطة ـ يخالف تمامًا قواعد السِّرِّيَّة المطلقة ، المعمول بها فى عالم المخابرات ..

ولكن دهشة (أدهم) لم تدم لأكثر من لحظة ، أيقن بعدها أنه من الضرورىّ أن الأمر عاجل وهام ، فانتعشت حواسّه كلها ، ونفض عنه كل ما كان يشعر به من قلق ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ فى خدمتك يا سيِّدى .

مرّة أخرى ملأته الدهشة ، حينما استشفّ فى صوت المدير رنّة حزن واضحة ، وهو يقول فى خُفوت ..

ــ هل يمكننى رؤيتك الآن ، فى مكتبى يا (أدهم) ؟

كان هناك أكثر من عامل للدهشة هذه المرّة ..

ذلك الصوت الحزين ، وتلك اللهجة ، التى تحمل من الرجاء أكثر ما تحمل من صيغة الأمر ، واستخدام المدير لاسمه ، بدلًا من أن يخاطبه بلقبه الكودىّ (ن ــ ١) كعادته كلّما كان الأمر يتعلّق بمهمّة رسميّة ..

ومرّة أخرى نفض (أدهم) دهشته فى سرعة ، وقال فى حزم :

ــ سأصل بأقصى سرعة ممكنة يا سيّدى ..

ولقد فعل ..

فى تمام السادسة والثلث ، كانت سيّارته تعبُر بوّابة مبنى المخابرات العامة ، وتستقرّ إلى جوار سيّارة المدير ، ويصعد هو إلى حجرة مكتب هذا الأخير برشاقته وسرعته المعهودتين ، متجاهلًا المِصْعَد كالمعتاد ..

ولم يكد بصره يقع على وجه رئيسه ، حتى أيقن أن الأمر ليس عاديًا ؛ فقد كانت هناك مسحَة من الحزن تكسُو وجه

الرجل ، الذى يرأس أخطر أجهزة الدولة ، وأعظمها أثرًا ، وكانت تلك المسحَة تتضاعف لتكسُو صوته الحزين ، وهو يقول :

ــ اجلس يا (أدهم) ... أريد أن أتحدّث إليك قليلًا .

جلس (أدهم) فى هدوء ، وإن حملت نظراته كل لهفته وشوقه لمعرفة الأمر ، وران الصمت على جوّ الحجرة لحظات ، قبل أن يقول المدير ، متحاشيًا التقاء عينيه بعينى (أدهم) :

ــ أنت تعرف الرائد (خالد) بالطبع يا (أدهم) .. لقد عملتما معًا يومًا .. أليس كذلك ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ بلى يا سيّدى .. كان ذلك فى قضية (سيرچى كوربوف)(*) .

غمغم المدير بصوته الحزين :

ــ هذا صحيح .

وزفر فى عمق ، قبل أن يعود إلى صمته لحظات ، تضاعف خلالها فُضُول (أدهم) لمعرفة سرّ حزن مديره ، الذى عاد يقول فى حُزْن وخُفوت :

(*) راجع قصة (سُمّ الكوبرا) .. المغامرة رقم (٥١) .

ـ منذ حوالى أسبوعين ، كلَّفنا الرائد (خالد) مهمَّة مراقبة رجل مُثير للشُّبهات ، وتتبُّعه إلى خارج البلاد ، للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات عنه ، وعمَّن يعمل لحسابهم ، ولقد أدَّى (خالد) عمله على أكمل وجه ، ثم تابع مهمَّته ، فسافر خلف الرجل إلى (تايوان) ، ومن هناك أرسل إلينا برقيَّة شفريَّة قصيرة ، تقول :

« الصيد أكبر من المتوقَّع بكثير .. تم تعديل الخطة إلى الطراز [أ] » .

صمت المدير مرَّة أخرى ، وبدا من الواضح أنه يُعانى مرارة شديدة ، حتى أن (أدهم) لم يجد فى نفسه الشجاعة ، ليسأله عمَّا أصاب الرائد (خالد) ، إلى أن تابع المدير حديثه ، قائلًا :

ـ كان هذا يَعْنى أن (خالد) قد وقع على معلومات بالغة الخطورة ، وأنه فى سبيله للحصول عليها ، ولكن .....

ازدرد المدير لُعابه على نحو ملحوظ ، يبدو أشبه برجل يبتلع كُرَة من الصبَّار ، قبل أن يضيف :

ـ ولكن (خالد) اختفى فجأة .

وجد (أدهم) نفسه يهتف فى انفعال :

ـ اختفى ؟!

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وقال وقد تضاعفت نَبْرة الحزن فى صوته :

ـ انقطعت أخباره فجأة ، وفقدنا أثره تمامًا ، وفشلت كل محاولاتنا للعثور عليه ، أو على العميل الذى كان يتعقَّبه .

هبَّ (أدهم) من مقعده ، وقال فى صوت مُفعَم بالحماس :

ـ متى تنطلق أوَّل طائرة إلى (تايوان) يا سيِّدى ؟

حملت إليه نظرة المدير الكثير من الامتنان ، وهو يربِّت على كتفه ، قائلًا :

ـ أنت تعلم أن هذه المهمَّة ليست من نوع مهامِّك المعتادة يا (أدهم) ، ولست أطلبها منك كرئيسك .. صحيح أنه ليس من المفروض أن تحكمنى عواطفى ، فيما يختصّ بالعمل والرجال ، ولكنك تعلم أنَّ .. أنَّ .....

غلبه الانفعال هذه المرَّة ، فخفض وجهه ، وهو يستطرد فى خُفوت شديد ، ومرارة هائلة :

ـ أنَّ (خالد) هو ابنى .

صمت (أدهم) لحظة ، ليسيطر على انفعاله ، ثم قال فى حزم :

— إنها مهمَّة عاجلة ياسيِّدى ، فهى تتعلَّق باختفاء أحد رجالنا ، وسأنطلق على الفور فى تلك المهمَّة ، من أجل (مصر) ، و ......

والتقت عيناه بعينى المدير ، وهو يستطرد :

— ومن أجل صديق .

* * *



٢ — مدينة القلق ..

استغرقت (منى توفيق) فى نوم عميق ، طوال الرحلة من (القاهرة) إلى (تايوان) ، مكتفيةً بذلك الملخَّص السريع للمهمَّة ، الذى ألقاه (أدهم) على مسامعها فى المطار ، قبل أن يستقلَّا طائرتهما فى منتصف الليل ، بتوقيت (القاهرة) ، ولم تستيقظ إلَّا فى مطار (تاييه) ، عاصمة (تايوان) ، فتثاءبت ، وسألت (أدهم) فى تكاسل :

— هل وصلنا ؟

ابتسم ، وهو يقول فى هدوء :

— نعم .. لقد بدأت المهمَّة .

شبكت أصابع كفَّيها ، وفردت ذراعيها عن آخرهما ، وكأنما تنفض عنها التكاسل والخمول ، ثم تنحنحت ، واعتدلت فى مجلسها ، والتقطت حقيبتها ، وتناولت منها مرآتها الصغيرة ، وراحت تضع بعض اللَّمسات على زينتها فى اهتمام ، حتى أن (أدهم) غمغم متهكِّمًا :

— عجبًا !!.. كنت أظننا فى مهمّة خاصّة ، ولسنا بصدد قضاء سهرة سياحيّة .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى حَنَق :

— أمِنَ المفروض أن نُعلن ذلك للجميع ؟

أطلق ضحكة قصيرة ، وقال :

— بالتأكيد .. سننشر إعلانًا بكل الصحف حين هبوطنا ، و .....

قاطعته غاضبة :

— أيروق لك أن تسخر دومًا من كل ما أفعله ، حتى ولو كان يشبه ما تفعله كل امرأة عاديّة ؟

مال نحوها ، وابتسم وهو يهمس :

— ومَن قال إنك مجرّد امرأة عاديّة يا عزيزتى .

وعاد صوته ينخفض ، وهو يستطرد :

— إنك فاتنتى .

تضرّج وجهها بحُمرة الخجل ، وضبطت نفسها متلبّسة بالابتسام فى سعادة ، فأسرعت تحجب ابتسامتها ، وتحلّ حزام مقعدها ، وهى تقول :

— هلّا أعلنت على مسامعى طبيعة مهمّتنا هذه المرّة ؟

كان قد اعتاد أسلوب فرارها من مواجهة مشاعره ، فأجاب فى هدوء ، وهو ينهض من مقعده ، ويعاونها على النهوض لمغادرة الطائرة :

— إن مهمّتنا باختصار هى معرفة مكان (خالد) ، والعثور عليه ، وإعادته ، أو معرفة مصيره على الأقل ، والخيط الوحيد الذى لدينا هو اسم وصورة ذلك العميل ، الذى اختفى (خالد) وهو يتبعه ، وهو أمريكىّ يُدعَى (هنرى كلارك) ، يدّعِى أنه سمسار عقارات ، إلّا أن معلوماتنا تؤكّد أنه رجل مخابرات سابق ، تمّ فصله من المخابرات الأمريكية منذ خمسة أعوام ، ولكن نشاطاته توحى بأن ذلك الفصل زائف وصورىّ ، وأنه ما زال يعمل لحساب جهاز مخابراته ، أو على الأقل لحساب جهاز مخابرات آخر ، وهناك ما يشير إلى أن من يعمل لحسابهم — أيًّا كانوا — يخطّطون لشىء ما ضد (مصر) .

كانا قد بلغا — فى تلك اللحظة — منطقة الجوازات ، فتوقّف (أدهم) عن الشرح ، وناول جوازيهما لضابط الجوازات ، قائلًا بابتسامة هادئة :

— يقولون إن مدينتكم من أكبر الأسواق التجارية فى

(آسيا) .. أهذا صحيح ؟ ألقى عليه ضابط الجوازات نظرة باردة ، وتجاهل السؤال تمامًا ، وهو يراجع بيانات جوازى السفر فى اهتمام ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة خبيثة مقلقة ، وهو يقول :

ـــ مستر (أدهم صبرى) ، ومِسْ (منى توفيق) .. أزيارة عمل هى أم سياحة ؟

أجابه (أدهم) ببرود مماثل :

ـــ بعض من هذا وذاك .

تسلّلت إلى ابتسامة الرجل وصوته لمحة ساخرة ، وهو يقول :

ـــ ستَرُوق لكم جزيرتنا فى الحالتين بالتأكيد .

ثم ناولهما جوازى السفر ، مستطردًا :

ـــ إقامة سعيدة .

تناول (أدهم) الجوازين ، وجذب (منى) مبتعدًا ، وهو يقول فى برود :

ـــ أتمنّى ألا تطول كثيرًا .

تألّقت عينا ضابط الجوازات ، وهو يلمحهما يبتعدان ، واتسعت ابتسامته الخبيثة الساخرة ، وهو يقول :

ـــ أظن أنها ستطول أكثر مما تتصوَّر يا مستر (أدهم) .

ثم التقط سمّاعة الهاتف المجاور له ، وأدار القرص برقم خاصّ ، ولم يكد يسمع صوت محدّثه ، حتى قال فى اهتمام :

ـــ لقد وصل الرجل يا سيِّدى .

بدت اللّهفة فى صوت محدّثه ، وهو يقول :

ـــ وحده ؟

أجابه الضابط :

ـــ بل بصحبة فتاة جميلة ، تُدعى (منى توفيق) .

رَانَ الصمت لحظة ، عبْر أسلاك الهاتف ، قال الرجل بعدها فى هدوء :

ـــ حسنًا .. فلْيَسِرْ كل شىء كما خطَّطنا له ..

ووضع سمّاعة الهاتف بدوره ، وصمت لحظة ، ثم التفت إلى رجل ممشوق القَوام ، وسيم الملامح ، حليق ، أشيَب الفَوْدَيْن ، وابتسم قائلًا :

ـــ لقد كنت على حقّ يا مستر (هنرى) .. لقد وصل ذلك الرجل (أدهم صبرى) .

ارتجف جسد (هنرى) على نحو ملحوظ ، وبدا شديد الانفعال ، وهو يغمغم :



ويبذل جهدًا للسيطرة على مشاعره ، وهو يضيف :
ــ هذا الرجل هو أخطر من يهدّد عمليتنا .

ــ كنت أتوقّع ذلك .. كنت أتوقّع ذلك .

ثم التقط زجاجة الخمر من جواره ، وصبَّ لنفسه كأسًا مزدوجة ، جرعها دفعة واحدة ، فاحتقن وجهه فى شدّة ، واحمرَّت عيناه فى قوّة ، وأطلق زفيرًا قويًا ، قبل أن يلتقط أنفاسه ، ويبذل جهدًا للسيطرة على مشاعره ، وهو يضيف :

ــ هذا الرجل هو أخطر من يهدّد عمليتنا يا (كال) ، ولابُدّ من القضاء عليه بلا هَوادة .

ملأت ابتسامة واسعة وجه (كال) البدين ، وهو يقول :

ــ اطمئن يا مستر (هنرى) .. فى سبيل نجاح مهمَّتنا لن أتردّد فى التخلُّص من رئيس الولايات المتحدة نفسه .

وأطلق ضحكة حادّة ، وهو يصبُّ لنفسه كأسًا ، رفعها بين أصابعه ، مستطردًا :

ــ نخب القضاء على (أدهم صبرى) .

وجرع كأسه دفعة واحدة ..

* * *

غمغمت (منى) ، وهى تستقرّ إلى جوار (أدهم) ، فى سيّارة الأجرة ، التى التقطاها من أمام المطار مباشرة :

ــ رجل الجوازات هذا لم يَرُق لى .

غمغم (أدهم) فى هدوء :

ــ فليذهب إلى الجحيم .

ثم التفت إلى السائق ، قائلًا بالإنجليزية :

ــ اذهب بنا إلى فندق جيِّد أيُّها السائق .

سأله السائق فى آليَّة :

ــ أتفضِّل فندقًا من الدرجة الأولى ، أم الثانية ، أم الثالثة ، أم منزلًا خاصًا بحوض سباحة ، أم حجرة فى ......؟

قاطعه (أدهم) :

ــ بل فندقًا من الدرجة الأولى .

أومأ السائق برأسه متفهِّمًا ، ثم قال :

ــ حسنًا .. أفى مواجهة البحر تفضِّله ، أم داخل المدينة ، أم بجوار السوق التجارية أم .....؟

ضحك (أدهم) وهو يقاطعه ، قائلًا :

ــ ألديكم هنا عدة اختيارات لكل شىء ؟

أجابه السائق فى حماس :

ــ بالتأكيد .

أخرج (أدهم) من جيبه صورة (هنرى كلارك) ووضعها أمام وجه السائق ، قائلًا :

ــ قُلْ لى إذن ، هل سبق لك أن رأيت هذا الرجل ، أو نقلته ، أو نقلته إلى مكان ما ، أو أى من هذا القبيل ؟.

تفرَّس الرجل فى صورة (هنرى) فى اهتمام ، ثم أدار محرِّك سيَّارته ، وهو يقول فى بساطة ، فجَّرت انفعال (منى) :

ــ بالتأكيد .. إنه مستر (هنرى كلارك) .

ولكن انفعالها لم يلبث أن قفز إلى ذِرْوَته ، حينما أضاف السائق بالبساطة نفسها :

ــ ومَنْ ذا الذى لا يعرفه ؟ إنه رئيس أمن المدينة ، وأخطر رجالها على الإطلاق .

* * *

٣ ـ الحصار ..

زفرت (منى) فى قوة ، وهى تتطلّع إلى البحر ، عَبْرَ نافذة حجرتها بالفندق ، وهتفت فى صوت لم تفارقه الدهشة ، ولم يغادره الانفعال بَعْدُ :

ـ رئيس الأمن دفعة واحدة ؟!.. ولكن كيف ؟.. كيف لم تبلغنا تلك المعلومة ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

ـ ربّما لأنه لم يَتَوَلَّ هذا المنصب إلّا فى القريب يا (منى) ، وهذا هو التفسير الوحيد .

لوّحت بكفّها ، وهى تستدير إليه ، هاتفة فى انفعال :

ـ ولكن هذا يَعْنِى أن موقف (خالد) بالغ الخطورة ، فوجود ذلك الوغد فى هذا المنصب الخطير ، يتيح له إعدام (خالد) بلسم القانون .

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أتمنّى ألّا يكون قد فعل يا (منى) .

ثم أضاف بصوت مخيف :

ـ وإلّا فسيدفع عمره ثمنًا لذلك .

عادت تلوّح بكفّيها ، وهى تقول فى انفعال :

ـ والآن ماذا نفعل ؟.. إننا لم نعثر على طرف خيط فحسب ، وإنما على حبل كامل ، يقودنا إلى الرجل الذى ننشده ، ولكننا نعجز عن الوصول إليه .

رفع (أدهم) عينيه إليها ، وهو يقول فى صرامة :

ـ مَنْ قال هذا ؟.. إننا لم نبدأ بعدُ .

سألته فى حِدَّة :

ـ ألديك وسيلة للوصول إلى رئيس الأمن نفسه ؟.

اعتدل ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

ثم عادت ابتسامته الساخرة إلى شفتيه ، وهو يضيف :

ـ إنه هو نفسه سيسعى إلينا .

هتفت فى دهشة :

ـ كيف ؟!

اتسعت ابتسامته الساخرة ، واقترب منها ، ووقف يتطلّع إلى المحيط بدوره ، وهو يقول فى هدوء :

ـ سترين يا عزيزتى .. سترين ..

* * *

أشعل (هنرى) سيجارته فى انفعال واضح ، ونفث دُخانها فى قوّة ، وهو يقول :

ــ أكل شىء على ما يرام يا (كال) ؟

ابتسم (كال) ابتسامة هادئة ، وقال :

ــ نعم يا مستر (هنرى) .. لقد حصل على الحجرة التى أردناها له ، ونحن نراقب حجرته وفندقه ، وهاتفه .. ثِقْ أن ذلك الشيطان لن يلتقط ذرَّة واحدة من الهواء ، دون أن نعلم بها .

لم يشعر (هنرى) بالاطمئنان ، على الرغم من تأكيدات (كال) ، فمال نحوه ، وهو يسأله فى قلق :

ــ هل ستقتله ؟

اتّسعت ابتسامة (كال) وسط وجهه المكتنز ، وهو يقول :

ــ كلّا .. إننى أدّخر له نهاية أفضل .

وتناول كأسه فى هدوء ، ورشف رشفة من خمرها ، وهو يستطرد :

ــ لقد جاء يسعى خلف زميله ، وسأعاونه فى مهمّته ، وأرسله إليه .

تألّقت عينا (هنرى) ، وهو يهتف فى انفعال :

ــ هل سترسله إلى هناك ؟

نهض (كال) من مقعده ، واتجه نحو خريطة لجزيرة (تايوان) ، وأشار إلى دائرة تتوسّطها ، قائلًا :

ــ نعم .. إلى المعتقل .. معتقل الجنرال (أندريه) .

وانطلقت من شفتيه ضحكة مقيتة ، قبل أن يستطرد :

ــ إلى بئر الجحيم .

* * *

تنهّدت (منى) ، وهى تجلس إلى جوار (أدهم) ، فى السيّارة الأنيقة التى استأجرها ، وقالت فى قلق :

ــ أتظنّ أنّ وسيلتنا ستفلح ؟

أجابها فى هدوء :

ــ بالتأكيد .

غمغمت فى عصبيّة :

ــ ولكنها تبدو لى سخيفة ، وعلنيّة أكثر من اللازم .

ابتسم ، وهو يقول فى هدوء :

ــ أترين ذلك حقًّا ؟

أثارها هدوءه ، فهتفت فى انفعال :

— بالتأكيد .. إن هذا لم يحدث أبدا من قبل ، لا فى عالم المخابرات ، ولا حتى فى عالم صراعات الأزِقَّة ، وكان من الأفضل أن نستشير الإدارة ، قبل أن نُقدم عليه .

ضحك ، قائلًا :

— ليس إلى هذا الحدّ .

هتفت فى حِدَّة :

— ماذا تُعنى ؟.. إنك ستنشر إعلانًا بالصحف ، تقول فيه : إلى « (هـ . كلارك) .. لقد أتيت من أجلك .. (أدهم صبرى) » .. أى أنك باختصار ، ستتحدّى الرجل على صفحات الجرائد .. أيبدو لك هذا عقلانيًا .

هزّ كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

— كلا بالتأكيد .

زفرت فى ارتياح ، فأسرع يضيف :

— ولن يبدو له كذلك أيضًا ، وهذا هو المطلوب .

حدّقت فى وجهه بدهشة ، ثم سألته فى خفوت :

— ماذا تُعنى ؟

أجابها فى هدوء : .

— إن (هنرى كلارك) يتوقّع — بصفته رجل مخابرات

سابقًا أو حاليًا — أن المخابرات المصرية لن تقف ساكنة ، فى مواجهة فقد واختفاء أحد رجالها ، وهو ينتظر محاولة منهم لفهم ما حدث ، وهو فى الوقت ذاته يعرفنى ، ويعلم أننى أعمل فى جهاز المخابرات المصرىّ ، شأنه شأن أىّ رجل مخابرات آخر ، وسيصدمه أنْ أتحدّاه على هذا النحو ، وسيُجَنّ جُنُونُه ، ويسعى خلفنا ، وعندئذ نكون قد اختصرنا مرحلة طويلة من الصراع ، والتقينا بخصمنا بناءً على إرادته .

قالت فى توتُّر :

— ولكن هذا ينتزع منَّا زِمام المبادَرة ، ويمنحه إيَّاه .

عاد يهزُّ كتفيه ، ويمطُّ شفتيه ، قائلًا :

— دَعِينا نتظاهر بأنه قد فاجأنا ، حينما نقع فى قبضته يا عزيزتى .

عقدت حاجبيها ، ومطَّت شفتيها فى غضب ، وهى تقول :

— ما زالت أساليبك لا تَرُوق لى يا (أدهم صبرى) .

ابتسم وهو يقول :

— ولكنها ناجحة .. أليس كذلك ؟

هتفت فى سخط :

— ليس فى كل مرَّة .. قُلْ لى بالله عليك ، ماذا لو أنه أمر بقتلنا على الفور ، وفاجأتنا رصاصات رجاله ، و .....

لاحظت فجأة أنه لا يتابع حديثها ، وأنه يتطلَّع إلى مرآة سيَّارته فى اهتمام ، فبترت عبارتها ، لتسأله فى قلق :

— ماذا هناك ؟

صمت لحظة أخرى ، قبل أن يجيبها بابتسامة ساخرة :

— أظنَّنى سأتبع نصيحتك يا عزيزتى ، وأتنازل عن نشر الإعلان .

عادت تسأله بمزيد من القلق :

— ماذا هناك ؟

أجابها فى هدوء ساخر :

— لا شىء يا عزيزتى .. إنه مشهد تقليدىّ .. مجرَّد سيَّارة ضخمة تتبعنا ، وبداخلها خمسة أوغاد ضخام الجثة .. لقد شاهدت ذلك عشرات المرَّات .. أليس كذلك ؟

استدارت تتطلَّع إلى السيَّارة المطاردة فى توتُّر ، وهى تخرجُ مسدَّسها الصغير من حقيبتها ، قائلة :

— حسنًا .. لقد حانت لحظة القتال .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— كلَّا يا عزيزتى .. إننى أكره هذا النوع من القتال المباشر .. دعينا نبدأ مع هؤلاء الأوغاد لُعبة القطّ والفأر ..

ثم انحرف فجأة فى شارع جانبىّ ضيق ، مستطردًا :

— المهمّ من يلعب دَوْر القطّ .

وأوقف سيَّارته على جانب الطريق ، وهو يهتف بـ (منى) :

— هيَّا يا عزيزتى ، سنواجه خصومنا ، و .....

بتر عبارته بغتة ، والتقى حاجباه فى تساؤل ، حينما لاحظ أن السيَّارة الضخمة لم تتبعهما داخل الطريق الضيِّق ، وإنما توقَّفت لتسدَّ مدخله بجسمها ، على حين برزت سيَّارة أخرى من الجانب الآخر للطريق ، وسدَّت مدخله الثانى ، بحيث صار (أدهم) و (منى) بين السِّندان والمطرقة ، وغادر السيَّارتين عشرة رجال ضخام الجثة ، يحملون مدافعهم الرَّشاشة ، واتجهوا نحو سيَّارة (أدهم) و (منى) من الجانبين ، وهم يصوِّبون إليهما فُوهات مدافعهم ، فانكمشت (منى) فى مقعدها ، وشَحُب وجهها وصوتها ، وهى تقول :

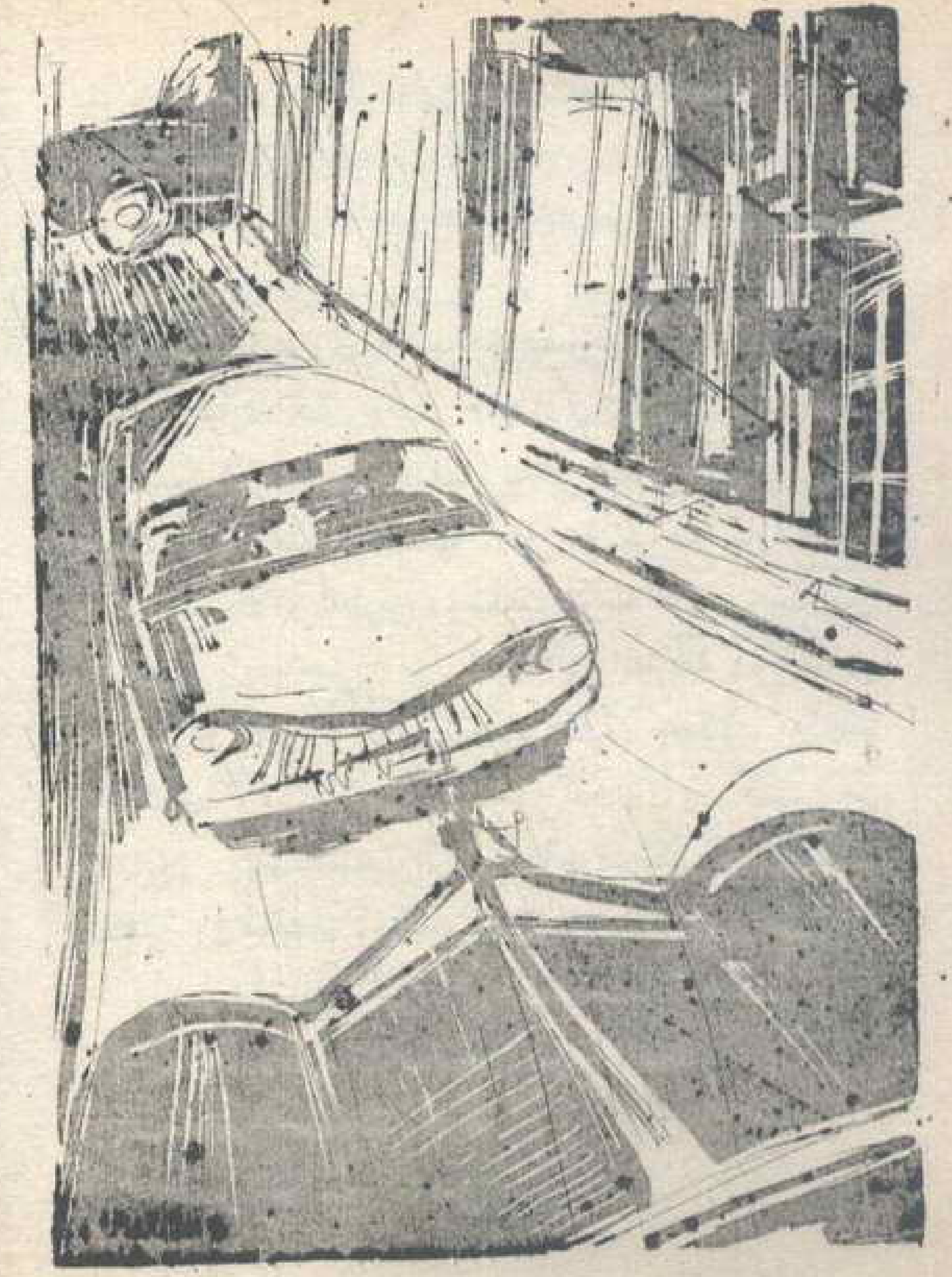
— صَدقْت يا (أدهم) .. إننا لن ننشر الإعلان .

وازدردت لُعابها فى صُعوبة ، قبل أن تُضيف :

— سنلقى حَتفنا قبل أن نفعل .

وكان من الواضح أنها على حقّ ..

* * *



لاحظ أن السيّارة الضخمة لم تتبعهما داخل الطريق الضيّق ، وإنما توقّفت لتسدّ مدخله .

٤ ــ الشيّطان ..

مضت لحظات من الصمت ، و (أدهم) ينقّل بصره بين فريقي الرجال الضخام ، اللّذين يتقدّمان من أمام وخلف سيّارته ، قبل أن يقول فى هدوء :

ــ أظن أنه ليس أمامنا سوى أن نستسلم يا (منى) .

قال هذا ، ودفع باب سيّارته وغادرها ، وهو يرفع ذراعيه ، ويقول فى صوت مرتفع بالإنجليزية :

ــ حسنًا .. إننا نستسلم .

ارتسمت على وجوه الرجال ابتسامة ظافرة ، وتبادلوا نظرات الفوز ، قبل أن يغمغم أحدهم فى ازدراء :

ــ أهذا الذى يقولون إنه يقاتل كالشيطان ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ــ إنكم لم تمنحونى الفرصة فى الواقع يا صديقى .. لقد فاجأنى حقًا أنكم قد حاصرتم الطريق ، على حين وقع اختيارى عليه عشوائيًا !

ابتسم أحد الضخام فى زهو ، وقال وهو ينقل بصره بين (أدهم) و (منى) :

— إنها معجزة التكنولوجيا يا رجل .. لقد ثبّتنا جهاز إرسال دقيق ، فى حجم زرّ قميص صغير ، فى سيّارتك هذه ، وتبعناك نحن من الخلف على حين سارت إحدى سيّاراتنا فى الطريق الموازى ، وحينما انحرفت فجأة فى ذلك الطريق الجانبىّ ، أرسلنا إلى السيّارة الأخرى إشارة متفقًا عليها ، فحاصرتك معنا .

ارتفع حاجبا (أدهم) ، وهو يهتف :

— رائع .. هذا يعنى أنكم تعلمون بأمرى منذ البداية .

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

— منذ وطئت قدماك أرض جزيرتنا .. لقد كنّا ننتظر قُدومك فى الواقع .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، والتفت إلى (منى) ، قائلًا :

— أرأيت يا عزيزتى ؟. لم تكن هناك حاجة لنشر الإعلان بالفعل .. خُذى .. يمكنك تمزيقه .

ومدّ يده إلى جيب سترته فى هدوء ، فهتف به الرجال ، وقد تحفّزت مدافعهم :

— حذارِ .. سنطلق النار دون تردُّد .

توقّفت يد (أدهم) ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يقول :

— أتخشون الإعلانات إلى هذا الحدّ ؟

هتف به أحدهم فى خشونة :

— ألقِ سلاحك أوّلًا .

هزّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، وامتدّت يده فى هدوء إلى جيب سترته الداخلى ، فالتقط مسدّسه ، وأخرجه قائلًا :

— ها هو ذا .

قال قائد الضخام العشرة فى صرامة :

— ألقه هنا .

تنهّد (أدهم) ، وقال فى لهجة أقرب إلى الضجر :

— لا بأس .. ها هو ذا .

ثم ألقى مسدّسه عند قدمَى الرجل ..

وفجأة ، انفجر المسدّس ..

انفجر بدوىّ مباغت شديد ..

وتحرّك (أدهم) و (منى) فى اللحظة ذاتها ..

واشتعلت نيران الجحيم ..

* * *

كان واحدًا من الشَّراك الخداعيَّة البسيطة المبتكرة ، التى ابتكرتها المخابرات المصرية ..

من المألوف ، إذا ما تمكَّن منك الخصم ، أن يطالبك بتسليم سلاحك ؛ لذا فقد وجد خبراء الابتكارات ، فى المخابرات المصرية ، أنه من الممكن حمل مسدَّسَيْن : أحدهما حقيقىّ ، والآخر عبارة عن قنبلة يدويَّة ، على هيئة مسدَّس ، يكفى لتشغيلها أن يسحب صاحبها إبرة المسدَّس ، ثم يلقيه أرضًا ، فتنفجر القنبلة ..

وكانت قنبلة ذات قوَّة انفجار محدودة ، تكفى لجرح الخصْم ، وإفقاده وعيه فحسب ، دون أن تقتله ، فلقد قدَّر الخبراء أنه من المحتمل أن يكون ذلك الخصْم مطلوبًا على قيد الحياة ..

ولولا تلك الصفة الأخيرة ، ما استخدم (أدهم) القنبلة الخداعيَّة أبدًا ..

فمن العجيب ، بالنسبة لـ (أدهم صبرى) ، أنه ــ على الرغم من عنف مهنته ــ يبغض القتل تمامًا ، ولا يلجأ إليه إلا للضرورة القُصْوَى ، وحينها لا يكون هناك من سبيل سواه ..

ولقد تعلَّمت منه (منى) هذا المبدأ ..

لقد انفجرت القنبلة الخداعيَّة ، فأسقطت ثلاثة من الرجال العشرة فاقدى الوعى ، وأصابت السبعة الآخرين بالذُّهول ، على حين تحرَّك (أدهم) و (منى) فى سرعة مدهشة ، فالتقط كل منهما مسدَّسه ، وارتفعت قدم (أدهم) لتركل وجه أقرب الرجال إليه ، وقفزت قدمه الأخرى إلى معدة الثانى ، ثم فكّه ، فى نفس اللحظة التى أطلقت (منى) فيها رصاصات مسدسها على يدى رجلين ، وتجاهلت صرخات الألم ، التى انطلقت منهما ، وهما يتخلّيان عن مدفعيهما ، وصوَّبت مسدَّسها إلى الثالث ، ولكنها وجدت (أدهم) يحُول بينها وبينه ، وهو يلكم أحد الرجال فى فكّه ، ثم يقفز جانبًا ، ويطلق النار على كفّ الثانى ، وينحنى متجنّبًا رصاصة الأخير ، ثم ينقضّ عليه كالصاعقة ، وينتزعه من سترته ، ويهوِى على أنفه بلكمة حسمت المعركة ..

وهتفت (منى) :

ــ لقد انتصرنا .. لقد .....

بترت عبارتها فى قلق ، وهى تتطلَّع إلى عينى (أدهم) ، اللتَيْن تركَّزتا على نقطة ما خلفها ، وهو يقول :

ــ ليس بَعْدُ يا عزيزتى .

استدارت إلى حيث ينظر فى حدّة ، ولم تكد تفعل حتى تقلّصت أصابعها فوق مقبض مسدّسها فى انفعال ، ثم لم تلبث يدها أن تراخت إلى جوارها ..

فهناك .. فى نهاية الطريق الضيّق ، كان أربعة رجال يصوّبون إليها وإلى (أدهم) أسلحتهم ..

أربعة من رجال شرطة (تايوان) ..

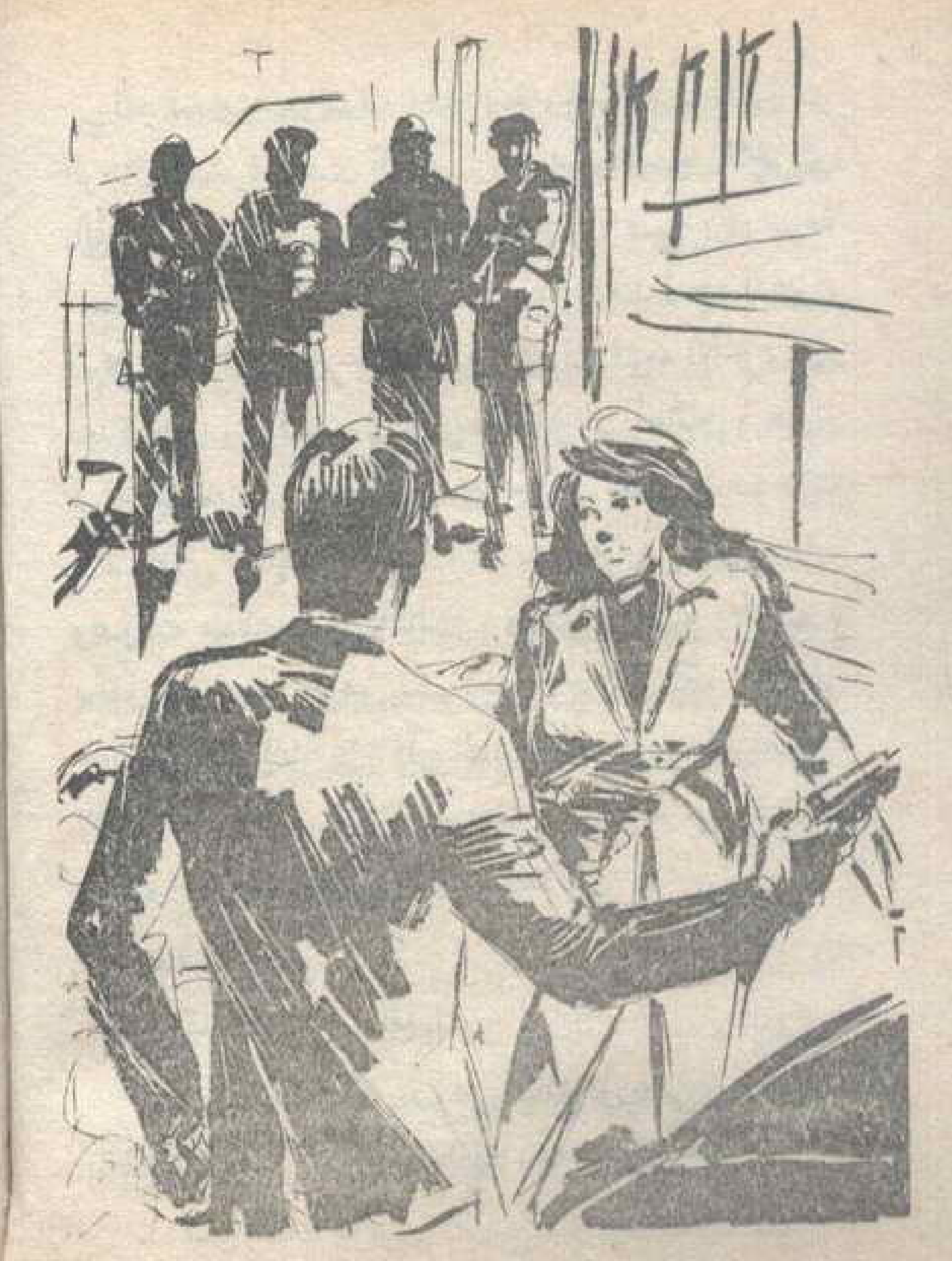
* * *

فحص مفتش الشرطة التايوانى مسدّس (أدهم) و (منى) فى اهتمام ، للمرّة الثالثة ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة ، وهو يقول :

ــ من الواضح أنها قضيّة دسمة ، فأنا متشوّق للغاية ، لأسمع منكما تفسيرًا لحملكما مسدّسين من البلاستيك ، مصنوعين خصيصًا لخداع آلات كشف المعادن فى المطارات ، واستخدامهما هنا ، دون ترخيص مسبق .

عقد (أدهم) حاجبيه غضبًا ، وهو يقول :

ــ عجبًا !!.. أيبدو لك من المنطقىّ أن يهاجمنا عشرة رجال ، يحملون المدافع الرّشاشة ، وليس من المنطقىّ أن ندافع عن نفسينا بمسدّسين من البلاستيك ؟



بترت عبارتها فى قلق ، وهى تتطلّع إلى عينى (أدهم) ، اللّتين تركزتا على نقطة ما خلفها .

جلس المفتش على مقعد قريب ، وبدت ابتسامته وكأنها محفورة على شفتيه ، وهو يقول :

— القضية ليست قضية دفاع أو هجوم .. إنها قضية تهريب أسلحة داخل الجزيرة ، مما يُوحِى بشبهة الشروع فى ارتكاب أعمال إرهابية .

لزمت (منى) الصمت فى ضيق ، على حين قال (أدهم) فى برود :

— ومَنْ قال إننا قد هرَّبنا الأسلحة إلى هنا ؟

قال المفتش فى سخرية :

— لقد عثرنا عليهما معكما .. أليس كذلك ؟

أجابه (أدهم) :

— هذا صحيح ، ولكننا لا نملكهما .

رمقه المفتش بنظرة طويلة ، ثم مال نحوه ، يسأله فى شَغَف :

— من يملكهما إذن ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

— هؤلاء الأوغاد العشرة ، الذين هاجمونا .

ارتفع حاجبا المفتش ، وهو يقول فى سخرية :

— هكذا ؟!

واتسعت ابتسامته ، وهو يتراجع فى مقعده ، مستطردًا :

— أتعنِى أولئك المساكين العشرة ، الذين تحطَّمت كُفُوفهم وأفواههم وأُنوفهم ؟

ثم عاد يميل نحو (أدهم) على نحو مباغت ، مُرْدِفًا :

ما عملك بالضبط يا مستر (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) فى برود :

— رجل أعمال مصرىّ .. وهذا مسجَّل بجواز سفرى .. أليس كذلك ؟

قال المفتش فى سخرية :

— بلَى .. إنه كذلك ، ولكن ......

صمت لحظة ، قبل أن يحدِّق فى عينى (أدهم) مستطردًا :

— يدهشنى كثيرًا أن يمتلك رجل أعمال خبرة ومهارة قتالية عاليتين ، إلى الحدّ الذى يكفل له هزيمة عشرة رجال .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلًا :

— لا داعى للمبالغة أيها المفتش ، فلم أكن وحدِى .. كانت معى (منى) .

ابتسمت (منى) على الرغم منها ، على حين عقد المفتش حاجبيه فى غضب ، وهو يقول فى حدَّة :

— أتميل إلى المُزَاح ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ كلَّا .. لقد هاجمنا هؤلاء الأوغاد العشرة ، فانتزعنا منهم المسدَّسين ، ودافعنا عن أنفسنا ، وهزمناهم .. أهناك تهمة تشبه ذلك ؟

هتف المفتش فى حَنَق :

ـ اسمع يا مستر (أدهم) .. إنك لن تنجح فى خداعى أبدًا .. إن هزيمة هؤلاء الرجال العشرة تحتاج إلى خبرة رهيبة .

قال (أدهم) فى سخرية وهدوء :

ـ لا تنس أننى أزاول الرِّياضة .

سأله المفتش فى حِدَّة :

ـ أيَّة رياضة ؟

أجابه فى سخرية :

ـ الشطرنج .

احتقن وجه المفتش غضبًا ، وهبَّ من مقعده ، قائلًا فى حَنَق :

ـ حسنًا يا مستر (أدهم) .. إننى ألقى القبض عليك ، وعلى زميلتك .

نهض (أدهم) بدوْره ، وهو يقول فى صرامة :

ـ بأيَّة تهمة أيها المفتش .. إننى أنكر تمامًا ملكيتنا للمسدَّسين ، ولن يمكنك إثبات العكس ، ولقد كنَّا ندافع عن أنفسنا ، وتأشيرتنا تمنحنا حقَّ البقاء هنا قانونًا ، و .....

قاطعه المفتش فى حِدَّة :

ـ إننى أُلقى القبض عليكما بتهمة مقاومة رجال الشرطة .

هتفت (منى) فى غضب :

أنت تعلم أن هذا لم يحدث .

أجابها المفتش فى صرامة :

ـ بل حدث .. هل نسيتم هؤلاء الرجال العشرة ؟

سأله (أدهم) فى قلق :

ـ ماذا عنهم ؟

اعتدل المفتش ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنهم رجالنا .. إنهم من رجال الشرطة .

* * *

٥ ـ الفخّ ..

ملأت الابتسامة وجه (كال) المكتظ ، وهو يقول فى ظَفَر وارتياح :

ـ لقد تمّ إلقاء القبض على (أدهم صبرى) يا مستر (هنرى) .

تألّقت عينا (هنرى) ، وهو يهتف فى لهفة :

ـ أأنت واثق من هذا ؟

ضحك (كال) ، وهو يقول :

ـ تمام الثقة يا مستر (هنرى) .. اطمئن .

سأله (هنرى) ، وهو يشعل سيجارته فى انفعال :

ـ إنك ستأمر بإرساله مباشرة إلى معتقل (أندريه) .. أليس كذلك ؟

ابتسم (كال) وهو يهزّ رأسه نفيًا فى هدوء ، فهتف (هنرى) فى عصبيّة :

ـ ماذا تعنى ؟.. إنك لا تعرف (أدهم صبرى) هذا ..

إنه لمن المعجزات أن نجح رجالنا فى إلقاء القبض عليه ، ولو أنه نجح فى الفرار منهم ، فسوف ......

قاطعه (كال) فى هدوء :

ـ رُوَيْدك يا عزيزى .. إننى أتوق لرؤية ذلك الشيطان ، الذى تنسجون حوله الأساطير أوّلًا .

لوَّح (هنرى) بذراعه فى حَنَق ، وهو يهتف :

ـ أرسله إلى (أندريه) أوّلًا ، ويمكنك أن تراه فيما بَعْدُ .

هزّ (كال) رأسه نفيًا ، وحافظ على ابتسامته الهادئة ، وهو يقول :

ـ هذا مستحيل يا عزيزى ، فأنا أكره الذهاب إلى معتقل (أندريه) ، ولست أدرى كيف يطيق هو نفسه البقاء هناك ، فالمكان مُقْبِض بحق ، ثم إن عزيزنا (أندريه) لن يسمح لأىّ من معتقليه بعبور أسوار المعتقل إلى الخارج حيًّا ، وهذا يَعْنى أننى لو لم أرَ ذلك الشيطان قبل ذهابه إلى هناك ، فلن أراه أبدًا .

عقد (هنرى) حاجبيه ، وهو يقول فى حَنَق :

ـ إنك ترتكب أكبر حَماقة فى حياتك يا (كال) .

ابتسم (كال) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ ربّما يا عزيزى (هنرى) ، ولكننا لن نخسر شيئًا ..
لقد سقط الشيطان فى الفخ ، وانتهى أمره .
وأطلق ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يستطرد :
ــ انتهى أمره إلى الأبد .

* * *

جلس (أدهم) فى زنزانته الصغيرة يسترجع الأحداث ، ويفكّر فى عمق .
كان من الواضح أن (هنرى كلارك) كان ينتظر قدومهما ، وأنه قد أعدّ لهما فخًا مُحكمًا ، ونجح فى إيقاعهما فيه .

ولكن أين (خالد) ؟..
هل أصابه نفس ما أصابهما يا تُرى ؟..
هل وقع فى فخ مماثل ؟..
ثم ماذا يكون مصيرهما . بعد الوقوع فى ذلك الفخ ؟
استغرقته تلك الأفكار ، حتى أطلّ المفتش من نافذة الزنزانة الصغيرة ، وقال فى شماتة :
ــ يبدو أنك شديد الأهميّة أيها المصرىّ .. إنك ستذهب ــ تحت الحراسة ــ إلى أخطر رجل بالمدينة ، بناءً على طلبه .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :
ــ دعْنى أخمّن .. إنه (هنرى كلارك) رئيس الأمن .. أليس كذلك ؟
أجابه المفتش فى سخرية مماثلة ، وهو يفتح باب الزنزانة ، ويصوّب إليه مسدّسه :
ــ أخطأت .. إنه (فرديناند كال) .. حاكم المدينة
عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم :
ــ الحاكم ؟!.. أهو أمريكى الجنسيّة ؟
أجابه المفتش :
ــ بل بريطانى .. ولكن هذا ليس من شأنك .. انهض وسِرْ أمامى إلى الخارج .
نهض (أدهم) وسار أمامه فى هدوء ، فقد كان أكثر شوقًا لمقابلة ذلك الحاكم ، ومعرفة سرّ رغبته فى رؤيته ، ولقد سأل المفتش فى هدوء :
ــ ولكن لماذا يرغب الحاكم فى رؤيتى وزميلتى ؟
ابتسم المفتش فى سخرية ، وهو يقول :
ــ إنه يرغب فى رؤيتك وحدك ، وربّما يلتقى بزميلتك وحدها ، إذا ما راقت له ، فهو يملك ذوقًا عاليًا فى اختيار نسائه ، و .....

ومن المؤكّد أن المفتش قد قضى ما بقى له من العمر ، نادمًا أشد الندم على تفوّهه بذلك الجزء الأخير من العبارة ، فلقد فوجئ قبل أن يتمّ عبارته بـ (أدهم) يدور على عَقِبَيْه فى سرعة مُذْهلة ، وينحنى فى مهارة ورشاقة مدهشتين ، ثم يلكمه فى معدته لكمة كالصاعقة ، تزخر بالقوة والغضب ، حتى لقد بدا للمفتش ، وهو ينثنى فى ألم رهيب ، أن تلك اللكمة قد اخترقت جدار بطنه ، ومعدته ، وارتطمت بلا شكّ بعموده الفقرى ؛ لأنه شعر بهذا الأخير يصرخ ألمًا ، ويبكى قهرًا ، قبل أن تنفجر قبضة (أدهم) الأخرى فى فكّه ، فتجبره على الاعتدال ، وتملأ فمه بطعم الدّم ، وبعدد من الأسنان المكسورة ، وتدير رأسه فى عنف ، وتدفعه للسقوط فاقد الوعْى ، لولا أن انتزع منه (أدهم) مسدّسه فى سرعة مُذْهلة ، ودار حوله ، وطوّق عنقه بساعده ، وضغطه فى قوة جحظت لها عينا المفتش ، وتدلّى لها لسانه خارج فمه ، وهو يهتف فى صوت مختنق :

ـ الرّحمة !! الرّحمة !!

صاح به (أدهم) فى غضب وصرامة :

ـ لقد أخطأت أيها الحقير .. إن نساءنا لسن نهبًا للأوغاد

كحكامهم .. حَذارِ أن تفقد الوعْى ، فستقودنى إليها ، وتطلق سراحها ، أو أنتزع رأسك من جسدك .

هتف المفتش فى صوت مختنق أجش :

ـ سأفعل .. سأفعل بالتأكيد .

دفعه (أدهم) أمامه فى قسوة ، عَبْرَ الممرّ الذى يحوى الزنزانات ، حتى توقّف المفتش أمام زنزانة صغيرة ، وهتف فى ألم :

ـ إنها .. إنها هنا .

شدّد (أدهم) ضغط ساعده على عنقه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أخرجها إذن .. إننى أنتظر .. ولست أتميّز بالصّبر .

أسرع المفتش يدسّ المفتاح ، فى ثقب باب الزّنزانة ، بأصابع مرتجفة ، وفتحه ، هاتفًا :

ها هى ذى .

لم تكد (منى) ترى وجه (أدهم) ، حتى اندفعت نحوه ، وهى تهتف :

ـ (أدهم) !.. كنت أعلم أنك .

أوقفها (أدهم) قائلًا فى حزم :



أسرع المفتش يدسّ المفتاح ، فى ثقب باب الزنزانة ، بأصابع مرتجفة .

ـــ مهلًا يا (منى) .. إننا لم ننج بعْدُ .

ثم سأل المفتش فى غلظة :

ـــ كيف السبيل إلى الخروج من هنا ؟

أشار المفتش إلى باب فى نهاية الممرّ ، قائلًا :

ـــ هذا هو السبيل الوحيد ، ولكنه يمرّ عَبْرَ حجرة الضباط .

سأله (أدهم) فى صرامة :

ـــ كم ضابطًا هناك الآن .

تحشرج صوت المفتش ، وهو يجيب :

ـــ ستة .. هناك ستة ضباط .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ حسنًا .. هذا كل ما أريده منك .

ثم هَوَى على فكّه بلكمة أفقدته الوعْيَ ، وهتفت (منى) :

ـــ ماذا سنفعل الآن ؟

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ يا له من سؤال !.. سنهرُب من هنا بالفعل .

هتفت فى حِدّة :

ـــ إننى لم أعُدْ أفهم شيئًا .. ألم تكن خطتك الرئيسية هى أن ندفع (هنرى) إلى القُدوم إلينا ؟.

توقَّف بغتة ، ثم التفت إليها ، وأمسك كتفيها فى قوّة ، وهو يتطلَّع إلى عينيها ، قائلًا :

ـــ اسمعى يا (منى) إننى أعترف أن عمليتنا بدت متخبِّطة حتى هذه اللحظة ، فكلَّما استقرَّ قرارنا على خُطَّة محدودة ، أبدلت الظروف والملابسات خُطَّتنا تمامًا ، ولقد كنت أسعى فعلًا للالتقاء بـ (هنرى كلارك) ، ولكننى كشفت منذ قليل وجود ثغرة مخيفة فى خُطَّتى .

سألته فى دهشة ، وهى تتطلَّع إلى عينيه فى حَيْرة :

ـــ أيَّة ثغرة ؟

أجابها فى صرامة :

ـــ أنت .

هتفت فى دهشة :

ـــ أنا ؟.. ما الذى يَعْنيه هذا الـ .....؟

قاطعها فى حزم :

ـــ اسمعى يا (منى) لقد نبَّهنى هذا المفتش الوغد ، منذ دقائق قليلة ، إلى حقيقة غابت عن ذهنى بعض الوقت ، ألا وهى أن (هنرى كلارك) يريدنى وحدى ، وأنه لن يقتلك ..

هتفت فى دهشة :

ـــ ماذا سيفعل بى إذن ؟

أجابها فى حدَّة :

ـــ ما هو أكثر فظاعة من القتل .

ظهر الذُّعر على وجهها ، فأضاف فى حزم صارم :

ـــ اسمعينى جيِّدًا .. إن الفرار ليس إحدى خُطوات خُطَّتى أبدًا ، ولكن من الضرورىّ أن تغادرى هذا المكان ، وعليك فور ذلك أن تتوجَّهى إلى القنصلية المصرية ، وتخبرى القنصل المصرىّ بالأمر كله .. اطلبى منه أن يهدِّد بإثارة أزمة ديلوماسيَّة ، أو أى شىء يراه مناسبًا .. المهم أن تبقى هناك حتى أعود .

هتفت فى عناد :

ـــ كلَّا .. لقد بدأنا المهمَّة معًا ، و .....

قاطعها فى حِدَّة صارمة :

ـــ هذا أمر أيَّتها النقيب .

عقدت حاجبيها فى غضب ، وهى تقول فى حِدَّة مماثلة :

ـــ سمعًا وطاعة يا سيادة المقدَّم .

ثم اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تسأله :

ـــ ولكن ماذا ستفعل ؟

أجابها فى حزم :

— لسبب ما ، طلب حاكم المدينة رؤيتى ، وهو بريطانى ، يُدعى (فرديناند كال) ، ولست أدرى ما إذا كنّا نملك ملفًا عنه أم لا ، ولكن مطلبه هذا يَعْنى أنه يعلم بالضرورة من أنا ، وأنه هناك صلة ما تربطه بـ (هنرى كلارك) ، ومن الضرورىّ أن أكشف تلك الصلة ، فأنا على ثقة من أن كشفها سيقودنا إلى معرفة مصير (خالد) .

سألته فى صوت مرتجف :

— هل تظن أنهم ......؟

ولكنها لم تتم سؤالها ، فقد دفع أحد الضباط باب الممرّ فى تلك اللحظة ، ولم تكد عيناه تقعان على ما حدث ، حتى انتزع مسدّسه ، وهو يهتف :

— ماذا يحدث هنا بحقّ السماء ؟

ولم يكن هناك مفرٌّ من بدء الاشتباك على الفور ..

* * *

٦ — الهروب الكبير .

بدأ الاشتباك دفعة واحدة ، وعلى نحو مباغت عنيف ، فلم يكد ذلك الضابط اليابانى يرفع مسدسه فى وجهى (أدهم) و (منى) ، حتى رفع (أدهم) مسدّسه فى سرعة البرق ، وأطلق رصاصته ، لتطيح بمسدّس الضابط ، الذى شهق فى ألم ودهشة وذُعْر ، ثم احتبست صرخته فى حلقه ، حينما رأى (أدهم) يندفع نحوه كالصاروخ ، ويُهَشّم فكّه بلكمة ساحقة ، قبل أن يفيق من ذُهوله ..

وبحركة سريعة ، التقط (أدهم) مسدّس الضابط ، وألقاه إلى (منى) ، التى التقطته وهى تعدو نحو (أدهم) ، وسمعته يقول فى إيجاز :

— هيَّا بنا .

كان صوت الرصاصة قد أثار ضجة هائلة فى قسم الشرطة ، واندفع الضباط الخمسة الآخرون نحو باب الممر ، وأيديهم تلتقط مسدّساتهم ، ولكنهم فوجئوا بإعصار .. انقضّ عليهم

(أدهم) و (منى) بعنف شديد ، وحطَّمت قبضة (أدهم) فك أولهم ، وركلت قدمه معدة الثانى ، على حين أطلقت (منى) النار على ساق الثالث ، وهوت بحافة يدها على مؤخرة عنق الرابع ، وأنهى (أدهم) الجولة بتحطيم أنف الخامس ، وعنق السادس ..

وأشار (أدهم) إلى باب جانبىّ ، هاتفًا :

ـ من هنا .

تبعته (منى) إلى الباب ، ودفعه هو بركلة قويَّة ، فانهالت عليهما رصاصات رجال الشرطة فى الخارج ، وارتفع صوت صارم ، يقول :

ـ استسلموا ، أيًا كان عددكم .. سنمهلكم عشر دقائق فحسب ، ثم نطلق عليكم النار .

صاح (أدهم) :

ـ سنقتل رجالكم السبعة هنا ، لو لم تفسحوا لنا الطريق .

أجابه الصوت الصارم :

ـ أوامرنا تقتضى تجاهل أية تهديدات .. استسلموا أو .....

قاطعه (أدهم) :

ـ نريد (هنرى كلارك) .. رئيس الشرطة .

ساد الصمت لحظة ، وكأنما أدهش مطلبه الجميع ، فأردف :

ـ لدينا هنا معلومات بالغة الخطورة ، تختص بأمنكم واقتصادكم ، ولن نبلغها لسواه ، أو اقتلونا لو شئتم .

ساد الصمت لحظة أخرى ، ثم قال الصوت الصارم :

ـ إننا نمنحكم نصف الساعة للتراجع عن إصراركم ، وبعدها سنمطركم بالنيران ، حتى ولو اضطررنا لنسف القسم كله .

غمغمت (منى) فى توتُّر :

ـ لقد ضاعفوا المهلة .

أجابها (أدهم) :

ـ نعم .. حتى يمكنهم استشارة (هنرى) ، وعرض الأمر عليه ومعرفة رأيه فى تنفيذه ، وهذا يمهلنا ما نحتاج إليه .

سألته فى قلق :

ـ ماذا ستفعل ؟

أجابها وهو يتجه إلى الداخل :

ـ سأقاتل .

هتفت ، وهى تختلس النظر إلى الخارج ، من ثقب الباب :

ـــ إننا لا نملك سوى مسدسين ، وهم أكثر من ثلاثين رجلًا ، يحملون المدافع الآلية :

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ ومَنْ قال إننا لا نملك سوى مسدسين .. هل نسيت هؤلاء الأوغاد الستة ، الفاقدى الوعى ؟

صاحت فى حِدَّة :

ـــ حتى ولو حصلنا على مسدساتهم ، فهى لن تكفى لمواجهة ثلاثين مدفعًا آليًا .

اتسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ـــ أتراهنين ؟

التفتت إليه فى حَيْرَة ، ثم انعقد حاجباها ، وهى تقول :

ـــ (أدهم صبرى) ، قُلْ لى فيم تفكّر ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ فى استغلال كل الإمكانات المحلّيّة يا عزيزتى .

ثم أشار إلى اسطوانة معدنية ، إلى جوار الموقد ، وأضاف :

ـــ ونحن نمتلك ما يسرُّ القلب .

سألته ، وهى تتجه إليه :

ـــ هل سنحوّلها إلى قنبلة ؟

ضحك فى هدوء ، وكأنما يجلسان فى منزله ، وقال :

ـــ بل إلى شىء أفضل يا عزيزتى .. أفضل كثيرًا .

* * *

هنا فقط ، وفى مثل هذه الظروف ، يبرز ما نُطلق عليه اسم (الفطرة القتالية) ، فلقد كان الشكل الظاهرىّ يُوحى بأن (أدهم) و (منى) لا يمتلكان سوى ثمانية مسدسات نصف آلية ، وأسطوانة غاز ، ولكن (أدهم) حوّل هذه الأسلحة البسيطة ، وبمهارة رائعة ، إلى أسلحة قتالية متطوّرة ..

لقد أفرغ الرصاصات من المسدّسات الستة ، وأفرغ بارودها فى ثلاثة أكواب معدنية ، أحكم إغلاقها ، وزوّد كلًّا منها بفتيل قوىّ ، ثم انتزع خرطوم أسطوانة الغاز ، وهو يقول مبتسمًا :

ـــ الآن صرنا وَحْدة قتالية يا عزيزتى (منى) .

تطلّعت إلى ساعتها ، وهى تقول :

ـــ رائع .. لقد أنجزنا ذلك فى عشر دقائق فحسب .

أجابها (أدهم) ، وهو يدفع أسطوانة الغاز أمامه :

ـــ كان من الضرورىّ أن نفعل ، حتى نبدأ المعركة قبل وصول إمدادات .

اقترب الاثنان من الباب ، وتطلّعا إلى الموقف فى الخارج ، وقال (أدهم) فى هدوء :

ــ أترين تلك السيّارة هناك ، فى أقصى اليمين ؟. تلك التى سنستقلها .

أومأت برأسها إيجابًا ، فعقد حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

ــ الآن ..

وعلى الفور ، أشعلا فتيل القنابل اليدوية الثلاث ، التى صنعاها من بارود الرصاصات ، والأكواب المعدنية ، وألقياها وسط رجال الشرطة الثلاثين ، فانفجرت القنابل الثلاث بِدَوِىٍّ هائل ، وساد هرج رهيب ، فى نفس الوقت الذى اندفع فيه (أدهم) و (منى) خارج المكان ، وراحا يطلقان نيران مسدّسيهما على رجال الشرطة ، الذين تضاعف هرجهم وارتباكهم ، وبلغ تخبطهم ذِرْوَته ، وخاصّة حينما أشعل (أدهم) النار أمام خرطوم أسطوانة الغاز ، فاندفع منه خيط من اللهب ، جعله أشبه بقاذفة لهب ضخمة ..

وكانت مفاجأة مذهلة حقًا ..

وقبل أن يفيق الجميع من ذُهولهم ، كان (أدهم) قد ألقى

الأسطوانة المشتعلة وسطهم ، فقفز رُعبهم وارتباكهم إلى قمة رهيبة ، قبل أن يقفز مع (منى) داخل السيّارة التى انتقياها من قبل ، وأدار هو محرّكها ، وانطلق بها مبتعدًا ، ومن خلفه انفجرت أسطوانة الغاز بِدَوِىٍّ هائل ، واشتعلت النيران فى ساحة القسم ، وهتفت (منى) :

ــ لقد انتصرنا بجدارة هذه المرّة .

أجابها ، وهو يزيد من سرعة السيّارة :

ــ ليس بعد .. إنهم يطاردوننا .

هتفت فى انفعال ، وهى تلتفت خلفها :

ــ كم سيّارة ؟

أجابها فى هدوء :

ــ ثلاثة .. كم رصاصة تملكين فى خزّان مسدّسك ؟

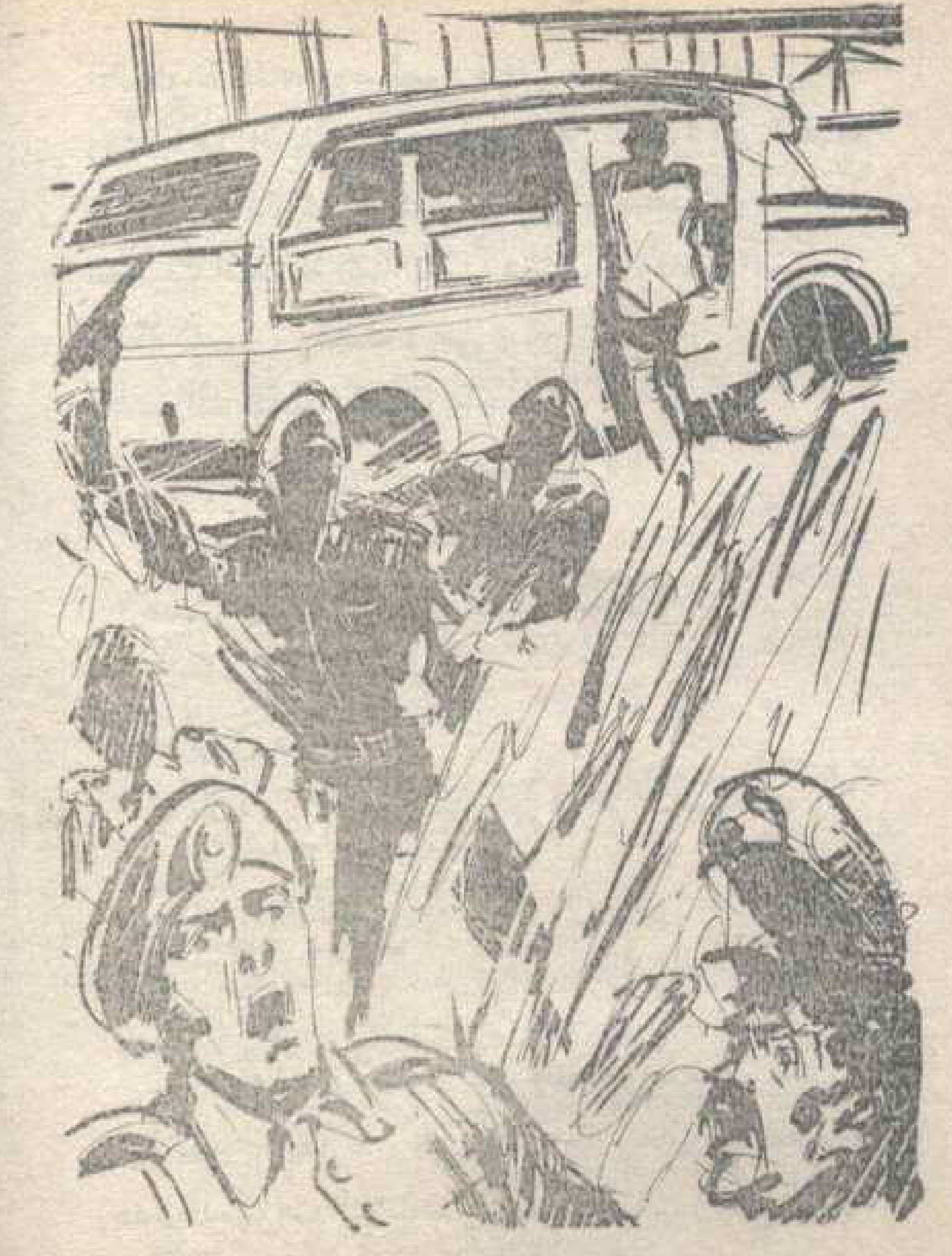
تنهّدت ، وهى تجيب فى حَنَق :

ــ واحدة .. وأنت ؟

ابتسم قائلًا :

ــ أقل منك بواحدة .. لقد فقدت رصاصاتى كلها .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أطلق أحد رجال الشرطة ، من إحدى السيّارات الثلاث ، رصاصة اخترقت زجاج السيّارة



ألقى الإسطوانة المشتعلة وسطهم ، فقفز برعبهم وارتباكهم إلى قمة رهيبة ، قبل أن يقفز مع (منى) داخل السيّارة .

الخلفىّ ، ومرقت منه إلى زجاجها الأمامى ، فهتفت (منى) فى ذُعْر :

ـــ زِدِ السُّرعة .. إنهم يطلقون النار علينا .

تألّقت عيناه ببريق شديد ، وهو يقول :

ـــ ليست السرعة هى العامل الأهم ، فى مطاردات السيّارات يا (منى) ، وإنما الخبرة والمهارة .

وانتشى صوته ، وكأنما يقدم على لُعبة مسلّية ، وهو يردف :

ـــ وسألقّنهم درسًا فى ذلك .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ضغط كمّاحة سيّارته فى رفق ، وعلى نحو فائق البراعة ، جعل سرعة السيّارة تنخفض على نحو مباغت ، أثار دهشة وارتباك قائدى السيّارات الثلاث المطارِدَة ، قبل أن يدير عجلة القيادة فى قوّة ، فتدور إطارات السيّارة إلى اليسار ، وتدور السيّارة حول نفسها نصف دائرة ، لتواجه السيّارات الثلاث فى تحدّ ..

وأدهشت المفاجأة قادة السيّارات الثلاث بحقّ ، وخاصة عندما رأوا سيّارة (أدهم) تنطلق نحوهم ، وتملّكهم الذُعر ، وهم يفسحون لها الطريق ، على نحو غير منتظم ، تسبّب فى ارتطام إحدى السيّارات بجذع شجرة ضخمة ، على جانب

الطريق ، وتحطم مقدمتها ، ومبرد المياه لمحركها ، على حين عادت سيارة (أدهم) تدور حول نفسها نصف دائرة أخرى ، ثم تعاود انطلاقها مبتعدة عن السيارات الثلاث ، وهو يطلق ضحكة ساخرة ، قائلًا :

— أرأيت يا عزيزتى ؟.. إن سياراتهم أكثر قوّة من هذه ، ولكن مناورتنا المفاجئة أربكتهم ، وأفقدتهم ثلث قوتهم .

تطلّعت خلفها ، وهى تقول :

— ولكن الثلثين الباقيين يصرّان على مواصلة المطاردة .

ضحك وهو يقول :

— هذا من سوء حظّهما .

ثم زاد من سرعة سيارته ، وهو يستطرد :

— طبقًا لخريطة (تايوان) ، هناك نهر صغير سيواجهنا بعد لحظات ، وهو يفصل المنطقة المتمدينة عن الأحراش ، ولو أننا عبرناه ...

اضطر لبتر عبارته ، عندما أصابت جسم سيّارته رصاصتان ، كان لهما رنين مخيف ، جعل (منى) ترتجف ، وهى تهتف فى حنق :

— يا للأوغاد !!.. إنهم يستغلون كوننا عزّلًا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— من قال إننا كذلك ؟

ثم انحرف بسيارته فجأة إلى جانب الطريق ، ومرق بين شجرتين ضخمتين ، واندفع فى ذلك المعبر الترابى الضيّق ، خارج الطريق ، فتصاعدت من خلفه سحابة ضخمة من الغبار ، وهتفت (منى) :

— أضدّهم تعمل أم ضدنا ؟.. أنسيت أن واجهة السيّارة الأمامية محطّمة ؟.. إنك ستغمرنا بأطنان من الغبار .

أجابها فى هدوء :

— وسأعوق الرؤية أمامهم أيضًا يا عزيزتى .

عاد ينحرف بسيارته بغتة إلى الطريق ، ودار حول جذع شجرة ضخمة ، ثم عاد يدور حول نفسه ، وينطلق فى اتجاه السيّارتين ، هاتفًا :

— صحيح أننى أكره تكرار نفسى ، ولكن للضرورة أحكام .

لم تكد السيّارات تتجاوزان سحابة الغبار ، التى صنعها بخوضه الطريق الترابىّ الجانبىّ ، حتى فوجئتا به فى مواجهتهما ، فضغط قائد إحداها كمّاحة سيارته بكل ما يملك من قوة ، ولمّا كانت سيارته تنطلق بسرعة كبيرة ، فقد كان

لهذا التوقُّف المفاجئ أسوأ الأثر ، إذ انقلبت السيارة رأسًا على عَقِب ، وتدحرجت إلى جانب الطريق ، حيث ارتطمت بشجرة ضخمة ، واشتعلت النيران فى خزّان وقودها ..

أمّا السيّارة الأخرى ، فقد نجح قائدها فى كبح جماحها ، وسيطر عليها فى مهارة ، وانطلق خلف سيّارة (أدهم) ، التى دارت حول نفسها مرّة أخرى ، وعادت إلى خطّ سيرها الأوّل ..

وفجأة .. لاح النهر لـ (أدهم) من بعيد ، فقال فى اهتمام :

ـــ كل مانحتاج إليه يا عزيزتى (منى) هو أن نعبُر هذا النهر ، وبعدها سنثبت لذلك البطل الذى يطاردنا ، أنه لا يجيد أبدًا القيادة وسط الأدغال .

زاد من سرعة سيّارته ، وهو يندفع نحو النهر ، وبدا لهما رأس جسر صغير ، فهتف (أدهم) ، وقد باتت المسافة بينه وبين النهر مجرّد أمتار قليلة :

ـــ ها هو ذا جسرنا نحو الحرّيّة يا عزيزتى ، و .....

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عينا (منى) فى ذُعر ..

فلم يكن هناك سوى رأس جسر ..

ولم يكن هناك جسر على الإطلاق ..

* * *

٧ ـــ أرض الشياطين ..

التقى حاجبا (كال) الرفيعين فى حِدّة ، وهو يستمع إلى محادثة هاتفية ، وزمجر فى غضب ، وهو يقول :

ـــ وكيف حدث ذلك ؟

استمع إلى الجواب عَبْرَ سمّاعة الهاتف ، وعاد يزمجر مغمغمًا :

ـــ أيها الأغبياء الحَمْقَى .

ووضع السمّاعة فى حِدّة واضحة ، جعلت (هنرى) يسأله فى عصبيّة :

ـــ لقد فرّ .. أليس كذلك ؟

أبعد (كال) عينيه فى حَنَق ، وهو يلوّح بذراعه ، هاتفًا :

ـــ ما كان من الممكن أن يفعل لولا أن .....

قاطعه (هنرى) فى حِدّة :

ـــ لولا أنك لم تستمع لنصيحتى ..

انعقد حاجبا (كال) فى شِدّة ، وهو يلتفت إليه ، هاتفًا فى غضب :

ـ رُوَيْدك .. أنسيت أننى .....

عاد (هنرى) يقاطعه فى حَنَق :

ـ كلّا يا (كال) .. لم أنس شيئًا ، ولكن ينبغى أن تدرك أن كَوْنك حاكمًا لـ (تاييه) لا يُغنى لى شيئًا ، فكلانا يتساوى وضعه فى المنظمة .

رَانَ عليهما الصمت لحظة ، وهما يتبادلان نظرة غاضبة ، ثم أشاح (كال) بوجهه فى عصبيّة ، واتجه نحو البار ، والتقط زجاجـة خمر ، فضَّ سدادتها فى حِدّة ، وصبَّ منها كأسًا كاملة ، وهو يقول :

ـ ماذا تقترح ؟

أخرج (هنرى) مسدَّسه ، وجذب مُشطه فى قوّة ، وتركه يرتدّ بصوت عنيف ، وهو يجيب :

ـ أن نطارده .

رشف (كال) رشفة من كأسه ، وهو يقول :

ـ إنهم يطاردونه بالفعل .

هبَّ (هنرى) واقفًا ، وهو يهتف :

ـ مطاردتى له ستختلف ، فكلانا رجل مخابرات .. مُرْ بإعداد هليوكوبتر ، وسأمارس مهام منصبى كرئيس للأمن ، وأقود مطاردة الشيطان .

وانعقد حاجباه فى غضب وصرامة ، وهو يُرْدِف :

ـ فأنا خبير بمطاردة الشياطين .

* * *

كان الجسر ، المفترض أن يصل بين حافتى النهر ، قد انهار منذ زمن طويل ، ولمّا كانت هناك عدة جسور أخرى ، على مسافات قريبة ، ولمّا كان ذلك الجسر يقود إلى منطقة أحراش قديمة ، لم يَعُد أحد يسكنها ، منذ اتخذت الجزيرة ذلك الطابع الانفتاحى التجارىّ ، فإن أحدًا لم يهتم بإصلاح الجسر القديم ، وإن ظلّت الخرائط الحديثة تشير إلى وجوده ، وكأنما لم يعلم أحد بانهياره بعد ..

وحينما أدرك (أدهم) تلك الحقيقة ، كانت المسافة التى تفصله عن رأس الجسر ، لا تتجاوز الأمتار الخمسة ، وكانت سيارته تنطلق بسرعة تربو على المائة والخمسين كيلومترًا فى الساعة ، والتوقُّف المفاجئ كفيل بقلبها رأسًا على عَقِب .

ولم يكن هناك إذن سوى حل واحد ..

زاد (أدهم) من سرعته ، واندفع فى قوّة نحو الجسر المحطَّم ، وهو يحاول تقدير المسافة التى تفصله عن الحافة الأخرى تقريبيًّا ، ثم ترك إطارات سيارته تصعد رأس الجسر و ... تطير عَبْرَ النهر ..

كان مشهدًا مثيرًا للغاية لسيّارة تطير عَبْرَ النهر ، حتى أن قائد سيارة الشرطة الباقية قد نَسِيَ أنه يقودُ السيّارة ، وهو يحدّق فى المشهد بدهشة ، فلم ينتبه إلّا على حافة النهر ، ولم يستطع منع سيّارته من السقوط فيه ، وهو يطلق سبابًا ساخطًا غاضبًا ..

أمّا سيّارة (أدهم) و (منى) ، فقد اندفعت عاليًا ، ثم مالت مقدّمتها ، وبدأت رحلة الهبوط ، وشهقت (منى) :

ــ يا إلهى !!.. لقد فشلنا ..

فقد كانت السيّارة تتجه نحو مياه النهر مباشرة ، بعد أن عجَزت عن قطع الأمتار الثلاثين ، التى تفصل الحافتَين ..

وسقطت السيّارة فى الماء ..

سقطت وغاصت كقطعة من الحجر ..

وفى قوّة وسرعة ، دفع (أدهم) باب السيّارة ، وجذب إليه (منى) ، وراحا يسبحان صاعدين إلى سطح الماء ، ولم يكد رأساهما يبرزان إلى السطح ، حتى انهالت عليهما رصاصات رجال الشرطة ، فعادا يغوصان ، ويسبحان نحو الشاطئ الآخر .. وعندم بلغا الشاطئ الآخر دفع (أدهم) (منى) إليه ، وقفز خلفها ، وأمسك يدها ليركضا جنبًا إلى جنب ، مبتعدين عن مرمى نيران الشرطة ..

وعلى مسافة كيلومترين ، هتفت (منى) ، وهى تلهث فى عنف :

ــ لم أعُد أستطيع .. انتظر ..

توقّف عن العَدْوِ ، وتركها تلقى جسدها المكدود فوق العُشب ، وجلس إلى جوارها ، وراح يتطلّع إليها ، وهى تلهث فى عنف ، وأطلّت من عينيه نظرة إشفاق ، وهو يتحسّس شعرها فى حنان ، مغمغمًا :

ــ لابدّ أن تذهبى يا عزيزتى .. لابُدّ .

سألته فى رجاء :

ــ لم لانذهب معًا يا (أدهم) ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول فى خفُوت :

ــ لأن هذا مستحيل .

هتفت :

ــ لماذا ؟.. أنا أيضًا أنتمى إلى المخابرات العامة المصرية ، وهى مهمّتى كما هى مهمّتك !

أجابها فى ضيق :

ــ ليس لهذا علاقة بالرسميّات .. إنه مطلب شخصىّ .

تطلّعت إلى عينيه مباشرة ، وهى تقول فى همس :

ــ مطلب شخصىّ منك .

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى لهجة مسّت شغاف قلبها :

ــ من قلبى مباشرةً .

لم تدر لماذا شعرت ــ فى تلك اللحظة ــ برغبة عارمة فى أن تملأ عينيها بوسامته ، وأن تذوب فى سواد عينيه الكثيف ؟..

لماذا تمنّت لو أنهما الآن فى (القاهرة) ؟

وارتجف جسدها فى قوة ، حينما أمسك كتفيها بيديه ، وتطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ــ عِدينى أن تنطلقى إلى القنصلية المصرية يا (منى) .

أومأت برأسها إيجابًا ، وتمتمت وكأنها مسلوبة الإرادة :

ــ أعِدك يا (أدهم) .. أعِدك .

قال فى حزم :

ــ مهما كانت الأسباب ؟

ردّدت خلفه كالمسحورة :

ــ مهما كانت الأسباب .

وفجأة ، انتفض جسدها فى عنف ..

لم يكن مبعث ذلك عشقها له ، أو تأجج عواطفها نحوه ..

لم يكن شيئًا سارًا على الإطلاق ..

كان سيلًا من الرصاصات ..

سيلًا انهمر من هليوكوبتر حربيّة ، يقودها الشيطان .. الشيطان الذى يحمل اسم (هنرى كلارك) ..

* * *

٨ ــ الأحراش ..

كانت الطلقات الأولى غزيرة ، ولكنها لم تصب هدفها ؛ لأن (أدهم) لم يكد يسمع هدير الهليوكوبتر حتى اتخذ جانب الحَذَر ، وقبل أن تنطلق الرصاصات بجزء من الثانية ، كان يجذب (منى) بعيدًا ، نحو منطقة كثيفة العُشب ..

وكان هذا فى الواقع هو سرّ انتفاضة (منى) العنيفة ..

لقد فوجئت بـ (أدهم) ينتزعها من مكانها ، ويجذبها خلفه فى عنف ، وهو يهتف :

ــ أسرعى ..

انطلقا يَعْدُوَان وسط الأحراش ، والهليوكوبتر تطاردهما فى عُنف وإصرار ، حتى دفع (أدهم) (منى) وسط أكَمَة متشابكة الأغصان ، وقال لها فى حِدّة :

ــ اسمعــى .. من الضرورىّ أن تبتعــدى الآن .. من الضرورىّ أن تصلى إلى القنصلية المصريّة .

هتفت فى لَوْعة :

ــ ولكن يا (أدهم) ..

قاطعها فى صرامة :
ــ لا وقت للمناقشة .. إنه أمر .
وعاد يمسك كتفيها ، وهو يستطرد :
ــ من الضرورىّ أن تكونى لى خطّ دفاع ثانيًا يا عزيزتى .
ترقرت فى عينيها الدموع ، وهى تقول :
ــ حسنًا يا (أدهم) .. سأفعل .. ولكن هذه الهليوكوبتر ..
عاد يقاطعها فى لهجة حاسمة ، لا تحتمل النقاش :
ــ دعِيكِ منها .. إنها تريدنى أنا ، وستنطلق خلفى أنا .
هتفت فى ارتياع :
ــ ولكن ..
لم يَدَعْ لها فرصة إتمام عبارتها الاعتراضية ، وإنما واصل حديثه فى حزم :
ــ انتظرى هنا خمس دقائق فقط ، بعد أن أنطلق أنا ، ثم انطلقى فى الاتجاه المضاد ، وستجدين جسرًا خشبيًّا صغيرًا ، بمجرّد عبُوره ستعودين إلى المنطقة المتمدينة ، ومن هناك يمكن لأيّة سيّارة أجرة أن تُقلّك إلى القنصليّة المصريّة .. هيّا .
حاولت أن تعترض ، وأن تناقش رأيه ، إلّا أنها فوجئت به

يغادر المخبأ ، وينطلق بأقصى سرعة وسط الأعشاب النامية ..
وشهقت (منى) فى ذُعر ، حينما رأت الهليوكوبتر تندفع خلفه ، وتمطره برصاصاتها ، وطفرت الدموع من عينيها فى غزارة ، وهى تغمغم :
ــ وداعًا يا (أدهم) .. وداعًا ..
ثم انطلقت مبتعدة فى الاتجاه المضاد ..

* * *

عقد (هنرى) حاجبيه فى توتُّر ، حينما رأى (أدهم) يندفع وحده من مخبئه ، وغمغم فى حَنَق :
ــ ياللسخافة !!.. إنه يضحّى بنفسه ليفسح لرفيقته طريق الفرار .
سأله قائد الهليوكوبتر فى هدوء ، وكأنما الأمر كله لا يَعْنيه :
ــ هل نعود إليها لنفسد خُطّته ؟
أجابه (هنرى) فى حزم :
ــ بل دَعْهَا .. هو وحده يهمُّنى .
وصمت لحظة ، ثم استدرك :
ــ ثم إنها لن تُفلِت منّا .

والتقط سمّاعة اللّاسلكى ، وهو يقول :

ــ من (هنرى) إلى (كال) .. أجبْ .

انتظر لحظة ، حتى سمع صوت (كال) يقول :

ــ هنا (كال) ، ماذا يحدث عندك ؟

أجابه (هنرى) فى انفعال :

ــ إننى أطارد ذلك الشيطان ، وسأنجح فى اقتناصه ، إن آجلًا أو عاجلًا ، ولكنه يقوم بمناورة لإبعادنا عن زميلته ، وأظنها ستنطلق فى الاتجاه المضاد ، وعليك أن تعمل على منعها .

سأل (كال) فى لهجة عابثة :

ــ أهى جميلة ؟

عقد (هنرى) حاجبيه ، وهو يقول فى حِدّة :

ــ نعم .. إنها كذلك ، ولكن هذا لا يَعْنِينى كثيرًا .

أجابه (كال) فى سخرية :

ــ ولكنه يَعْنِينى أنا يا عزيزى .

ثم أضاف فى صرامة :

اطمئنّ .. سنوقع بها .. اطمئنّ ..

* * *

كان (أدهم) ينطلق بأقصى سرعة ، باحثًا عن نقطة أخرى تصلح للاختباء ، والهليوكوبتر تطارده فى إصرار ، و (هنرى) يحاول إصابته فى عناد ، وقد بلغ غضبه ذِرْوَته ، لبراعة مناورات (أدهم) ، التى أعجزته عن إصابته طويلًا ..

وفجأة ، لاحت لـ (أدهم) شجرة عالية ، تقف وحدها وسط الأعشاب ، وبرقت فى رأسه فكرة جُنونية عجيبة ، فابتسم فى سخرية ، وهو يركض نحوها ، مغمغمًا :

ــ كم أتمنّى لو أنك تمتلك العناد الكافى لمطاردتى أيها الوغد ..

فى نفس اللحظة ، كان (هنرى) يهتف فى حَنَق :

ــ اللعنة !!.. كيف يمكن لرجل واحد أن يراوغنا إلى هذا الحدّ .. لقد كادت ذخيرتنا تنفد ، دون أن تصيبه رصاصة واحدة .

ابتسم قائد الهليوكوبتر ، وهو يقول :

ــ إنك تفتقر إلى الخبرة اللازمة ، لإصابة جسم متحرّك من آخر يا مستر (هنرى) .

هتف به (هنرى) فى حَنَق :

ــ ماذا تقول ؟!.. إننى رجل مخابرات سابق ، و .....

قاطعه قائد الهليوكوبتر فى هدوء :

ــ ليس لهذا علاقة بعمل المخابرات يا مستر (هنرى) .. إنه أقرب إلى عمليّات الصيّد .

ثم أشار إلى (أدهم) ، مستطردًا فى ثقة :

ــ انظر إليه .. إنه يشبه نمِرًا يعدُو وسط الأحراش .. لقد أصبت عشرات النُّمور بالوسيلة نفسها .

وصوَّب مدفعَى الهليوكوبتر إلى جسد (أدهم) ، الذى صار على قيد خطوات من الشجرة ، وانخفض بالهليوكوبتر ، مضيفًا فى زهْو :

ــ انظر يا مستر (هنرى) .. سأريك كيف أصيبه من الطلقة الأولى .

وفى هدوء ، ضغط زِرّ إطلاق النيران ..

* * *

اندفعت (منى) تشقّ طريقها وسط الأحراش ، حتى وصلت إلى الجسر الخشبىّ الصغير ، ولكنها لم تكد تقترب منه ، حتى لمحت سيّارات الشرطة التى تحيط به ، وتركّز بصرها على رجل بالغ البدانة ، مكتظّ الوجه ، يحيط به رجال الشرطة على نحو يؤكّد أهميته ، وهو يجفّف عرقه الغزير بصورة مبالغة ،

ويلوّح بذراعيه فى حِدّة ، وارتجفت فى توتُّر ، حينما رأته يشير نحو المنطقة التى يختفى فيها ، ويلقى تعليماته على رجال الشرطة ، الذين استمعوا إليه فى اهتمام ، ثم أسرعوا إلى سيّاراتهم ، وأداروا محرّكاتها ، وحشر هو نفسه فى سيّارته الضخمة ، وانطلق بها يعبُر الجسر ، وعبرت سيارات الشرطة خلفه ، واتجه الرّتل كله نحوها ، فتراجعت فى توتُّر ، وقبضت على مسدّسها فى قوّة ، وهى تغمغم :

ــ لم تعُد لدىّ سوى رصاصة واحدة ، ولكننى أقسم أن أفرغها فى رأس ذلك البدين ، إذا ما فقدت آخر أمل .

ارتجف جسدها فى قوّة ، وهبط قلبها بين قدميها ، حينما شعرت بفوّهة مسدّس باردة تلتصق بمؤخرة رأسها ، وسمعت صوتًا صارمًا ، يقول بالإنجليزية :

ــ حذارِ أن تبدر منك بادرة واحدة أيتها الانتحاريّة الحسناء .. فمسدّسى متأهّب لاختراق جمجمتك .. ألقى سلاحك بسرعة ، فأنا أفتقر إلى فضيلة الصبر .

ولم يكن أمامها سوى أن تطيع ..

* * *

كانت مناورة بهلوانية عنيفة ، تلك التى قام بها (أدهم) ، وسط تلك الأحراش ..

مناورة أصابت قائد الهليوكوبتر . و (هنرى كلارك) بذهول رهيب ..

لقد كانت الهليوكوبتر قد انخفضت ، لتحلق على ارتفاع منخفض ، وهى تنقضّ على (أدهم) ، وقائدها يصوّب إليه مدفعين رشاشين ، ويستعدّ لتحويل جسده إلى مصفاة ، بضغطة زرّ واحدة ..

وفجأة ، قفز (أدهم) نحو الشجرة ..

قفز متعلّقًا بأغصانها القويّة ، ودار بجسده حول الغصن القوىّ فى مهارة ورشاقة مذهلتين ، ثم ترك الغصن ، ودار جسده دوْرة كاملة فى الهواء ، وهو يندفع نحو الهليوكوبتر ، ويتعلّق فجأة بقائمتها اليسرى السُّفلى ..

واختلّ توازن الهليوكوبتر ، وقائدها يرتفع بها فى حركة غريزية ، هاتفًا فى ذهول :

ــ مستحيل !!.. هذا مستحيل !!..

صرخ (هنرى) فى ارتياع :

ــ لقد تعلّق بالهليوكوبتر .. إنه سيصل إلينا ..

ثم اختطف مدفعه الرشّاش ، وصوّبه إلى أرضية الهليوكوبتر ، صارخًا :

ــ سأقتله .. سأقتله قبل أن يصل إلينا .



ودار بجسده دَوْرة كاملة فى الهواء ، وهو يندفع نحو الهليوكوبتر ، ويتعلق فجأة بقائمتها اليسرى السُّفلى .

هتف به قائد الهليوكوبتر فى ذُعر :

ـــ رُوَيْدك .. إن هذا النوع من الطائرات المِرْوحيّة ، يحوى كل خزّانات وقوده فى أسفل ، ورصاصاتك ستفجّرنا كلنا .

صرخ (هنرى) فى رُعْب :

ـــ ولكنه سيصل إلينا .. سيصل إلينا بالتأكيد .. إنه شيطان .

هتف قائد الهليوكوبتر :

ـــ ربّما كانت لدىَّ وسيلة أخرى .. وسيلة أكثر فاعلية .

ثم اندفع بالهليوكوبتر نحو مجموعة أشجار باسقة حادّة الأغصان ، وهو يستطرد :

ـــ سأمزّقه فوق تلك الأغصان .. سأمزّقه إربًا .

ورأى (أدهم) نفسه يندفع نحو مجموعة من الأغصان البارزة الحادّة ..

مجموعة من السُّيوف الخشبيّة القاتلة ، مصوَّبة إلى صدره ..

إلى قلبه مباشرة ..

***

٩ ـــ قتال فى الجوّ ..

شعرت (منى) بحنق هائل ، ورغبة عارمة فى البكاء ، وهى تلقى مسدّسها ، وتقول فى حدّة :

ـــ حسنًا .. إننى أستسلم ، ولكن ثق أنك لن تحصل منّى على حرف واحد ، و .....

قاطعها الرجل ، قائلًا فى لهجة تهكّمية :

ـــ رُوَيْدك أيّتها الانتحارية الحسناء ، فلنخفض صوتينا أوّلًا ، حتى يتجاوزنا هؤلاء الأوغاد .

لاذت بالصمت فى دهشة ، وحبست أنفاسها ، وهى تتابع سيّارة (كال) ، وسيارات الشرطة التى تتبعه ، وهى تعبُر على قيد متر واحد ، من الأغصان التى تختفى خلفها ، ولم تكد سحب الغبار ، التى خلّفتها السيّارات ، تنقشع ، حتى سمعت الرجل من خلفها يقول بلهجته شبه التهكّمية :

ـــ حسنًا أيّتها الانتحارية الحسناء .. استديرى فى بطء ، ودعينى أرى وجهك الفاتن ..

استدارت (منى) فى بطء وتحفُز ، ولكنها لم تكد ترى وجه الرجل الذى أسرها ، حتى اتسعت عيناها وانفغر فاها فى دهشة ، فلقد كان الرجل زرِىّ الهيئة على نحو عجيب ، وشديد النُحول ، على الرغم من وسامته الواضحة ، أو بمعنى أدقّ بقايا الوسامة ، فقد كان الرجل قصير الشعر إلى حدّ مثير للدهشة ، كما لو كان حلاّقًا ساديًا قد جزّه جزًا ، والسترة والسروال اللذان يرتديهما قذران ممزّقان إلى حدّ مخيف ، إلاّ أن هذا لم يحجب تلك النظرة الساخرة فى عينيه الزرقاوين ، واستهتاره الواضح فى حمل ذلك المسدّس ، الذى يصوّبه إليها ..

وبكل ما يملأ أعماقها من دهشة ، هتفت :

ــ مَنْ أنت ؟

أجابها بلهجته التهكُمية :

ــ دعينا نسمع ذلك الجواب منك أوّلا ، فالفضول يقتلنى لمعرفة سرّ اختبائك هنا ، وذلك المسدّس فى يدك .

أشارت إلى حيث اختفت سيّارات الشرطة ، وهى تغمغم :

ــ إنهم يبحثون عنّى .

رفع حاجبيه فى دهشة ، وهتف .

ــ عنك أنت ؟!

ثم عادت تلك اللهجة الساخرة إلى صوته ، وهو يستطرد :

ــ أأنت مناهضة لنظام الحكم ؟

سألته فى دهشة :

ــ أى نظام حكم ؟

أشار بِدوْرِه إلى حيث اختفت السيّارات ، قائلا :

ــ نظام حكم ذلك الخنزير (كال) .

سألته فى اهتمام :

ــ أتقصد (فرديناند كال) ؟

أجابها ساخرًا :

ــ أتوجد هنا خنازير أخرى ؟

عقدت حاجبيها فى حزم ، وهى تقول :

ــ اسمع .. أريد معرفة مَنْ أنت ، وما سرّ هيئتك الـ .....

بترت عبارتها فى حَرَج ، فأكمل ساخرًا :

ــ المؤسفة .. نعم .. أظن هذا من حقّك .

وجلس أرضًا فى هدوء ، وألقى مسدّسه جانبًا ، وهو يستطرد :

ــ إننى واحد من سعداء الحظ ، الذين نجحوا فى الفرار من الجحيم .

غمغمت فى دهشة :

ـ الجحيم ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، ثم أشار إلى الجهة التى تركت (أدهم) فيها ، قائلا :

ـ نعم .. من معتقل الجنرال (أندرينه) .. شيطان الجحيم .. من معتقل الموت .. (المعتقل الرهيب) ..

* * *

لم يكن أمام (أدهم) ، وهو يندفع مع الهليوكوبتر ، نحو تلك الأغصان الحادّة المدبّبة القاتلة ، سوى أن يترك قائم الهليوكوبتر الخلفى . ليهوى أرضًا وسط العُشب ، أو يقاوم دفع الهواء الرهيب ، ليرتفع ملتصقًا بقعر الهليوكوبتر ..

ولم يكن (أدهم) ليتخلّى أبدًا عن شىء تشبّث به ..

وبكل ما يملك من قوّة وإرادة وعزيمة وإصرار ، دفع (أدهم) جسده إلى الأمام ، وقاوم ضغطًا رهيبًا للرياح ، حتى التصق جسده بباطن الهليوكوبتر ، التى عبرت فوق قمم الأغصان ، فصرخ (هنرى) فى ذُعر :

ـ أين ذهب ؟.. لقد فشلت خطّتك .. لن يمكنك أبدًا التخلّص من ذلك الشيطان .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى فوجئ قائد الهليوكوبتر بـ (أدهم) يقفز داخلها ، فأطلق صرخة رُعب حقيقية ، وتخلّى عن عصا القيادة ، وهو يصرخ :

ـ مستحيل !!.. هذا مستحيل !!..

أمّا (هنرى) ، فقد أسرع ينتزع مسدّسه ، وهو يصرخ :

ـ كلّا .. كلّا أيها الشيطان .

وانطلقت رصاصة مسدّسه نحو (أدهم) ، ولكن هذا الأخير تفاداها بانحناءة ماهرة رشيقة ، فتجاوزته الرصاصة ، واستقرّت فى عنق قائد الهليوكوبتر ، الذى شهق فى ذُعر ودهشة وألم ، ثم ترنّح ، وسقط خارج الهليوكوبتر ، التى ترنّحت فى عُنف ، على حين قفز (أدهم) نحو (هنرى) ، وكال له لكمة عنيفة ، وهو يقول :

ـ لقـد خسرت أيها الوغـد .. من الأفضل لك أن تستسلم .

صرخ (هنرى) فى رُعب :

ـ كلّا .. ابتعد عنّى .. ابتعد أيها الشيطان ..

ثم تألّقت عيناه فجأة ببريق جنونى ، وأطلق ضحكة هستيرية عالية ، وهو يشير إلى أسفل ، مستطردًا :

ـ سنموت معًا .. سننتهى معًا ..

التفت (أدهم) إلى حيث يشير (هنرى) ، وأدرك على الفور ما يعنيه ..

لقد كانت الهليوكوبتر تهوى ..

تهوى وسط الأحراش ..

* * *



١٠ ـ الهدف ..

هزّت (منى) رأسها فى عنف ، وكأنما تحاول أن تنفض من عقلها كل ما سمعته من الرجل ، وغمغمت فى صوت مرتعش :

ـ مستحيل !! إن ما تذكره مستحيل فى الواقع يا مستر (كوربل) .. إنه غير آدمىّ .. غير آدمىّ على الإطلاق .

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـ لماذا يا سيّدتى ؟.. إن هذا يحدث منذ عامين تقريبًا .. منذ أصبح الخنزير (كال) حاكمًا للمدينة .

سألته فى ارتياع :

ـ أهو يعتقل كل خصومه السياسيين ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ والاقتصاديين أيضًا .

ثم مال نحوها مستطردًا بنفس لهجته التهكّميّة :

ـ إنه ديكتاتور .

ولوّح بكفّه وهو يعود إلى موضعه الأوّل ، مردفًا :

— كل من يعارضه يذهب إلى هناك .. إلى معتقل (أندريه) الرهيب .. و (أندريه) هذا جنرال فرنسى سابق ، مصاب بسادية رهيبة ، فهو يهوى سماع الأنين ، ورؤية الدماء ، وما إن يُلقِى سوء الحظ بنزيل جديد فى معتقله ، حتى يتلقّفه هو ، ويبدأ فى استجوابه ، ووسائله فى الاستجواب رهيبة ، فهو ينتزع الأظفار ، أو يشوِى القدمَيْن على النيران ، أو يجلد بسياط معدنية .. أو .....

قاطعته ، وهى تشيح بوجهها فى اشمئزاز :

— كفى .

ابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

— المهم أن يحصل على اعتراف .. مهما كان الثمن ، وبعدها يلقى النزيلِ إلى زبانيته ، الذين يضيفونه إلى قائمة العاملين بالمنجم .

هتفت فى دهشة :

— المنجم ؟!.. أى منجم ؟!

تنهّد وكأنما أدهشته سذاجتها ، وقال :

— أكنت تظنّين أنهم يحشدون النزلاء فى ذلك المعتقل ، لإرضاء نزعات (أندريه) الساديّة فحسب ؟

عقدت حاجبيها فى غضب ، وقد أحنقها أن يتحدث إليها بذلك الأسلوب ، وقالت فى صرامة :

— حسنًا .. إنهم يجبرونكم على العمل فى منجم .. أليس كذلك ؟

هتف ساخرًا :

— رائع .. يا للذكاء !!

سألته فى حِدَّة :

— أهو منجم ذهب ؟

هزَّ رأسه نفيًا فى برود ، فعادت تقول بصوت أشدّ حِدَّة :

— ماس ؟

هزَّ رأسه نفيًا مرَّة أخرى ، فهتفت فى عصبيَّة :

— ما الذى تستخرجونه من ذلك المنجم اللعين إذن ؟

أجابها فى هدوء :

— نقد .. أوراق نقد .

اتسعت عيناها فى دهشة ، وحدّقت فى وجهه مغمغمة :

— ماذا ؟

أجاب فى هدوء أصابها بالذُّعر :

— أقول أوراق نقد .. كل فئات أوراق النقد .

وصمت لحظة ، قبل أن يُردِف :

ـ المصريّة .

* * *

هوت الهليوكوبتر نحو الأحراش فى سرعة رهيبة ، وتعالت ضحكات (هنرى) الجنونية ، وهو يهتف :

ـ سنقضى معًا .. سنلقى حتفنا فى آن واحد أيُّها الشيطان المصرىّ .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ هذا ما تظنّه أيُّها الحقير .

ثم هوَى على فكّه بلكمة كالقنبلة ، جعلت رأسه يرتطم بظهر مقعده ، فيفقد وعيه على الفور ..

وكم شعر (أدهم) بالرغبة فى تركه داخل الهليوكوبتر ، ولكنه كان يشعر بأهميّة بقاء (هنرى كلارك) على قيد الحياة ، لترتفع فرصة استعادة (خالد) .

وبسرعة ، حمل (أدهم) (هنرى) على كتفيه ، ثم قفز خارج الطائرة .. وهبط (أدهم) على قدميه وسط الأعشاب والأغصان ، وتدحرج مع حِمْله أرضًا ، على حين واصلت الهليوكوبتر سيرها ، وارتطمت بالأشجار ، وتحطَّمت مِرْوحتها فى عنف ، ثم انفجرت بدوىٍّ هائل ، واشتعلت فيها النيران ..



وبسرعة ، حمل (أدهم) (هنرى) على كتفيه ثم قفز خارج الطائرة .

ونهض (أدهم) يتطلع لحظة إلى الحطام المشتعل ، ثم التفت إلى حيث سقط (هنرى) ، وأطلت من عينيه نظرة صارمة ، وهو يتجه إليه ، وينتزعه من مكانه فى قوة ، قائلا :

ـ استيقظ أيها الحقير .. عُد إلى وَعيك ..

ثم صفعه فى قوة ، فانتفض (هنرى) فى ذُعر ، وهو يهتف :

ـ كلّا .. كلّا ، لا تقتلنى .

هزّه (أدهم) فى قوة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هذا يتوقف عليك أيها الوغد ، فسأقتلك بلا ريب ، لو أنك لم تجب عن أسئلتى بكل وضوح وصراحة .

حدّق (هنرى) فى وجهه برُعب ، وهو يهتف :

ـ ما الذى تريد معرفته ؟

سأله فى صرامة :

ـ ماذا فعلت بـ (خالد) ؟.. أين هو الآن ؟.. هل قتلته ؟

لوّح (هنرى) بذراعيه فى ذُعر ، وهو يهتف :

ـ كلّا .. كلّا .. إنه على قيد الحياة .

عاد يسأله فى صرامة أشد :

ـ أين هو ؟

أشار (هنرى) إلى ما خلف (أدهم) ، وهو يهتف :

ـ هُناك .. عند (أندريه) .

عاد (أدهم) يسأله فى حدّة :

ـ أين ؟

صاح (هنرى) فى لهجة أقرب إلى الانهيار :

ـ فى بؤرة الجحيم .. فى المعتقل .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدّة ، وهو يقول :

ـ المعتقل ؟!

ثم جذب (هنرى) إليه فى عنف ، مستطردًا فى حزم وصرامة :

ـ اسمع أيها الوغد .. لقد أثرت فضولى حقًا ، ولن أتركك حتى تقص علىّ كل شىء بالتفصيل .

هتف (هنرى) فى رُعب :

ـ سأخبرك .. سأخبرك بكل شىء ، و .....

وفجأة اتسعت عيناه فى رُعب ، وجحظتا ، ثم تهالك بين ذراعىْ (أدهم) ، ومن مؤخرة عنقه اندفع خيط من الدّم ، عَبْرَ ثُقب صغير ..

وأدرك (أدهم) مغزى ذلك على الفور .
لقد أصابت الرصاصة (هنرى) بدلًا منه ..
رصاصة قنّاص ماهر أخطأت هدفها ..
ولكنها قد لا تخطئه فى المرّة القادمة ..
قد لا تخطئ رأسه هو ..

* * *



١١ ـ نحو الجحيم ..

انتفض جسد (منى) ، حينما استمعت إلى كلمة (كوريل) الأخيرة ، وتعلّقت بذراعه ، وهى تقول فى حِدّة :
ـ لماذا ؟.. لماذا يطبعون أوراق النقد المصريّة ؟
دفعها (كوريل) بعيدًا ، وهو يقول فى حدّة :
ـ رُويْدك يا فتاة .. لست أدرى ما الذى يفعلونه بتلك الأوراق ، فمهمّتى تقتصر على طبعها فحسب .
هبّت من مكانها ، وهتفت فى توتُّر بالغ :
ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا يطبعون أوراقًا مالية زائفة ؟
تنحنح (كوريل) ، وقال :
ـ مهلًا أيتها الانتحارية الحسناء .. إنها ليست زائفة .
التفتت إليه فى حدّة ، وعقدت حاجبيها ، وهى تقول :
ـ أى هُراء هذا ؟.. كل أوراق النقد ، التى تُطبع خارج أماكن طبعها الرسميّة ، هى أوراق زائفة بالتأكيد .
تنحنح مرة أخرى ، قبل أن يقول :

— بالطبع ، مالم يتمّ طبعها بالوسيلة نفسها ، وعلى نفس الورقِ الأصليّ ، وبنفس الأحبار .

اتسعت عيناها فى ذُعر وذُهول ، وهى تهتف :

— أتعْنى أنهم يطبعون أوراقًا ماليّة مصريّة ، يستحيل تفرقتها عن الطبيعية ؟

أومأ برأسه إيجابًا فى صمت ، فهتفت :

— لابُدّ من إيقاف هذه المؤامرة إذن .. يا إلهى !! إن هذا لكفيل بتدمير اقتصادنا تمامًا .

ثم اندفعت مبتعدة ، وهى تستطرد :

— لابُدّ من إبلاغ القنصليّة المصريّة على وجه السرعة .

أسرع (كوريل) يلتقط مسدّسه ، وهو يهتف فى صرامة :

— إلى أين أيّتها المصريّة الحسناء ؟

هتفت به فى توتّر :

— ألم تفهم بعد ؟.. إنها مؤامرة لتحطيم اقتصاد دولتى ، ولا يمكننى الوقوف ساكنة إزاء ذلك .

زمجر فى صرامة :

— لن أسمح لك بالذهاب .. إنه أمنى أيضًا .

عقدت حاجبيها فى صرامة ، وهى تقول :

— اسمع يا (كوريل) .. اقتلنى لو شئت ، فسأموت مرتاحة الضمير على الأقل ، لأننى لم أقف ساكنة ، إزاء تلك المؤامرة الرهيبة ، التى تهدف إلى تحطيم اقتصاد دولتى وأمنها .

تردّد لحظة ، ثم غمغم :

— ومن يضمن لى أنك لن تبلّغى عنّى ؟

هتفت فى حماس :

— إننى على العكس ، سأعود لالتقاطك ، فأنت الوحيد الذى يمكنه إرشادنا ، إلى حيث تُحاك تلك المؤامرة الجهنّميّة .

تردّد لحظة أخرى ، ثم خفض مسدّسه ، مغمغمًا :

— لو أن كل أمور الدنيا تدار بالمنطق ما صدّقت حرفًا واحدًا من حديثك ، ولكننى ، ولسبب ما أثق بك .. هيّا .. اذهبى .

سألته فى صرامة :

— ومن يضمن لى أنك لن تطلق النار على ظهرى ؟

ابتسم ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

— هذا المسدّس .. فهو لا يحوى رصاصة واحدة .

تطلّعت إليه فى دهشة ، ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامة عريضة ، وهى تقول :

— صدِّقنى يا مستر (كوريل) .. إننى سعيدة حقًا بلقائك ، فأنت تذكرنى بشخص عزيز جدًا بالنسبة إلىَّ .

وشرد بصرها إلى حيث تركت (أدهم) ، وهى تستطرد فى لَوْعة :

— شخص لا يعلم إلا الله (سبحانه وتعالى) ، ما إذا كنت سأراه مرّة أخرى .. أم أننى قد ودّعته إلى الأبد ..

* * *

هتف مساعد (فرديناند كال) فى أسف ، حينما رأى (هنرى) يسقط صريعًا ، برصاصة رئيسه ، من خلال عدستى منظاره المقرّب :

— يا للشيطان !!.. لقد أخطأت الهدف يا سيِّدى .

ابتسم (كال) ابتسامته الواسعة ، وهو يقول فى سخرية :

— إننى لم أخطئ شيئًا أيها الغبىّ .. ولكننى أحبّ أن يتصوَّر الجميع هذا ..

وأشعل سيجارته ، قبل أن يُرْدِف :

— لقد صار (هنرى) شديد السخافة ، فى الآونة الأخيرة ، وكان من الضرورى التخلُّص منه .

حدّق المساعد فى وجه (كال) بدهشة ، ثم هتف :

— ولكن ذلك المصرىّ أسرع يختفى وسط الأحراش ، فور إصابة مستر (هنرى) يا سيِّدى .. وسيكون من العسير أن نطلق عليه رصاصة أخرى .

ابتسم (كال) فى سخرية ، وهو يقول :

— ومن يفكّر فى إصابته بالرصاص ؟

ثم سأله فى اهتمام :

— أى اتجاه اتخذ فى فراره ؟

أجابه مساعده :

— الشمال الشرقى يا سيِّدى .

اتسعت ابتسامة (كال) ، وهو يقول :

— عظيم .. إنه يتجه نحو الجحيم مباشرةً .

ثم التقط جهاز اللاسلكى الصغير ، وضغط أحد أزراره ، وأدنى فمه من بُوقه ، وهو يقول :

— أندريه) .. هنا (كال) .. هل تسمعنى ؟

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يرتفع صوت بارد ، بطىء النّبرات ، يقول :

— نعم .. أسمعك .. ماذا تريد ؟

أجابه (كال) فى لهجة عابثة :

ـــ هناك صيد يتجه نحوك مباشرة ، دون أن يدرى .. أأنت مستعد لاستقباله ؟

مضت لحظة أخرى من الصمت ، قبل أن يقول (أندريه) :

ـــ نعم .. أنت تعلم أننى دوْمًا مستعد لذلك .

ابتسم (كال) ، وهو يقول :

ـــ اتخذ كل الاستعدادات الممكنة هذه المرّة إذن ، فالصيد بالغ الخطورة ، ولقد تسبّب فى مقتل (هنرى) .

كانت لحظات الصمت أطول هذه المرّة ، ولقد جاء صوت (أندريه) غاضبًا ، وهو يقول :

ـــ إذن ، فهو يستحق معاملة خاصّة بالفعل .

اتسعت ابتسامة (كال) ، وهو يقول :

ـــ نعم .. بالتأكيد .. إنه يحتاج إلى معاملة خاصّة .. خاصّة جدًا .

* * *

لم يكد (هنرى كلارك) يسقط بين ذراعى (أدهم) ، حتى دفعه هذا الأخير جانبًا ، واندفع يعدو فى مسار متعرّج ،

نحو المنطقة الأكثر كثافة من الأحراش ، وولجها فى قوة ، وواصل عدوه فيها بعض الوقت ، ثم توقف ، وتلفت حوله ، مغمغمًا فى سخرية :

ـــ أين طريقك هذه المرّة يا (أدهم صبرى) ؟.. أتعشّم ألا تكون قد فقدته كعادتك !.

عقد حاجبيه ، وهو يستطرد فى اهتمام :

ـــ لقد كان ذلك الوغد (هنرى كلارك) يقف فى ذلك الاتجاه ، وعندما سألته عن مكان المعتقل ، أشار إلى هذا الاتجاه .. أى إلى الشمال الشرقىّ ، وقد تكون إشارته صحيحة ، أو أنها تعنى أن المعتقل داخل الأحراش فحسب .
وما دمت لا أملك أيّة معلومات أخرى ، ومن المتعذّر الحصول على معلومات إضافية ، فسأفترض جدلًا أنه كان يشير إلى الاتجاه الصحيح .

اتخذ طريقه نحو الشمال الشرقىّ ، وهو يستطرد فى سخرية :

ـــ ومن المؤسف أننى لا أملك سلاحًا ، ولم أجد الوقت الكافى لاختطاف مدفع (هنرى) الآلى ، مع سقوط الهليوكوبتر .. لكن .. سأتمسّك بعوامل التفاؤل ، وأفترض أننى لن ألتقى بما يحتاج إلى سلاح نارىّ .. مجرّد افتراض ..

لم يضف كلمة أخرى لنفسه ، وهو يسير مدة نصف ساعة أخرى ، عبْر أحراش متشابهة كثيفة ، حتى بلغ بقعة شبه عارية ، فتنهّد ، مغمغمًا :

ـ يبدو أنه كان من المفروض أن أتبنّى الافتراض الثانى ، فهأنذا أسير مدة نصف ساعة ، فى نفس الاتجاه ، دون أن أقع على مشهد واحد مغاير . كلها أحراش متشابهة .

تنهّد مرّة أخرى ، وحرّك قدمه ليواصل سيره ، إلا أن شيئًا ما جعله يتسمّر فى مكانه ..

إنه وَقْع خطْوته ...

لقد كشف بغتة ، مع ذلك الصوت الذى صدر من خطْوته ، أن المكان ساكن للغاية ..

ساكن وصامت على نحو غير طبيعى على الإطلاق ..

حتى الطيور والحشرات لم يعُد لها صوت ..

وفى حذر ، نقل خطوته فى بطء ، و .....

وفجأة ، التفت حوله شبكة ضخمة ، وحملته إلى أعلى فى عنف ، وأُحكِمَ وثاقها دفعة واحدة ..

لقد سقط (أدهم) فى الفخ ..

وقاوم (أدهم) فى عنف ، محاولاً التخلّص من القيود ، ثم لم يلبث أن توقّف بغتة ، حينما وقع بصره عليه ..

على الجنرال (أندريه) ..

كان رجلاً نحيلاً للغاية ، أشيب الشعر ، يبدو فى أوائل الخمسينات من عمره ، بارد الملامح إلى حدّ مخيف ، صارم النظرات على نحو مهيب ، كثّ الشارب أشيبه ، وكان يرتدى حُلّة عسكرية كاملة ، يعود طرازها إلى زمن الحرب العالمية الثانية ..

ومن حول الرجل ، برز عشرات الجنود ، من ذوى الملامح الآسيويّة ..

وفى برود منقطع النظير ، أشار (أندريه) إلى (أدهم) ، الذى أيقن من عدم جدْوى مقاومته للشبكة المُحكَمة ، ذات الحبال المتينة ، فتقدّم ثلاثة رجال نحو بطلنا فى حذر ، والتفّوا حوله ، فابتسم هو فى سخرية ، قائلاً :

ـ معْذرةً .. كنت أنتظر الحافلة العامّة ، و .....

وفجأة ، بتر عبارته فى عنف ..

بترها عندما هوت مؤخرة مدفع آلى على مؤخرة عنقه فى قوّة ..

وهتف (أدهم) فى غضب :

ـ أيها الحقراء

وتلقى عنقه ضربة أخرى أكثر عنفًا ..
ودارت به الدُّنيا ..
وأظلمت ..
وأظلمت ..
وأظلمت ..
وفقد (رجل المستحيل) وعيه ..
فقد وَعْيَه وسط أعدائه ، فى قلب الأحراش ..
وفى برود لم يَخْلُ من رنَّة ظافرة ، شامتة ، قال (أندريه) :
احملوه إلى المعتقل .
وربَّما لأوَّل مرَّة فى حياته ، ارتسمت على شفتى (أندريه) ابتسامة ساخرة ، وهو يستطرد :
ـ سيرُوق لى استجوابه للغاية ..
وغربت شمس ذلك اليوم على جزيرة (تايوان) ، وهى تحمل لـ (أدهم صبرى) هزيمة ، وتنقله إلى معتقل رهيب ..
إلى بؤرة الشيطان ..
وإلى أرض الجحيم ..

* * *

[انتهى الجزء الأول ، ويليه الجزء الثانى]

[الدائرة الجهَنَّميَّة]

رقم الإيداع : ٣٦١٩

المعتقل الرهيب

- ما السرُّ ، خلف اختفاء أحد رجال المخابرات المصريَّة فى (تايوان) ؟
- كيف اضطر (أدهم) و (منى) إلى مواجهة حاكم عاصمة (تايوان) ، ورئيس شرطتها ؟
- تُرى .. أينجح (أدهم) و (منى) فى مواجهة أحراش (تايوان) ، أم ينتهى بهما الأمر فى (المعتقل الرهيب) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) ..



العدد القادم : الدائرة الجهنمية

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة



الثمن فى مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم